

كتاب المصباح في علم المعاني والبيان والبديع

تصنيف الامام الجليل العلامة بدر الدين

أبي عبد الله محمد بن جمال الدين محمد بن

عبد الله بن مالك الأندلسي

الطائي المتوفى سنة ٦٨٦ هـ

رحمه الله تعالى

ونفعنا به

آمين

﴿ على نفقة محل تجارة السيد عمر حسين الخشاب وولده سنة ١٣٤١ هـ ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بالمطبعة الخيرية ادارة السيد «محمد عمر الخشاب»

حفظه الله و وفقه لما فيه الخير والصواب آمين

(تأسست المطبعة المذكورة باذن نمرة ١ سنة ١٣٠٢ هـ)

الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قرآن كريم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله قال الامام العالم الفاضل المحقق العلامة بدر الملة والدين أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالله ابن مالك رحمه الله تعالى ﴿ أما بعد ﴾ حمد الله سبحانه على ماأولاه من جميل النعم وحباه من جزيل المواهب والقسم وشرفنا به على جميع الامم من الهداية لاتباع رسوله وحبيبه محمد المخصوص بجوامع الكلم المؤيد بقواطع الحجج وجواهر الحكم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الظلم ﴿ فان علم الأدب ﴾ وهو معرفة مايحترز به عن جميع وجوه الخطأ فى العربية أنواع تتفاوت كثرة شعب وقلة وصعوبة فنون وسهولة فمن نوع قريب المأخذ يكفى فى تحصيله بعض قوة وأدنى تمييز وهو علم اللغة ويحترز به عن الخطأ فى أوضاع المفردات العربية ومن نوع بعيد المرام نائى المطالب موقوف على مزيد ذكاء وفضل قوة طبع وهو علم التصريف ويحترز به عن الخطأ فى التفريع من أصول أوضاع المفردات ومن آخر كالمزوز فى قرنه وهو علم النحو ويحترز به عن الخطأ فى التركيب

لتأدية أصل معنى الكلام ومن رابع لايملك الا بمدد جمة مع فضل الهى في ضمن كثرة مراجعات وطول ممارسات وهو علم البلاغة والفصاحة ويحترز به عن الخطأ في تطبيق الكلام لمقتضى الحال من تأدية تمام المراد على وفق مايقتضيها من وضوح الدلالة أو خفائها ومن تزيين العبارة بما يورث مزيد قبولها واستحلائها وهو أشرف أنواع الأدب قدرا وأعلاها مكانة وخطرا لانه علم الاستخراج لاسرار البلاغة من معادنها والكشف عن محاسن النكت المودعة في مكامنها الذى هو منتقد قوى البصائر ومسبار غور الفهم والخاطر ومضمار مايقع به التفاضل وينعقد بين الاماثل في شأنه التسابق والتناضل والذى اذا حذقت فيه اطلعك على اعجاز نظم القرآن وعلى خباء انصبابه في تلك القواليب وورده على تلك المناهج والاساليب وأقدرك في نسج حبير الكلام على مايشهد لك من البلاغة بالقدح المعلى وان لك في ابداع وشيها اليد الطولى ﴿ وقد ﴾ قصرت تأليفي هذا على هذا النوع من علوم الادب لاتوفر على استيفاء فنونه واستقصاء الغرر من نكته وعيونه فهو الطلبة وما سواه ذرائع اليه والمرام وماعداه اسباب التسلق عليه فجاء كتابا له حظ من التحقيق وحسن التهذيب في ضمير مزيد الاتقان وجودة الترتيب على انى لم أبلغ بمقدار لفظه حجم أدنى المطولات ولابالتضييق على معانيه غموض أكثر المختصرات ﴿ وسميته كتاب المصباح ﴾ وجعلته ثلاثة أقسام فقلت وبالله التوفيق ﴿ البلاغة ﴾ هى البلوغ في صوغ الكلام لتأدية المعنى الى حد له توفية بتمام المراد منه وسلوك جادة الصواب فيه ولها طرفان أعلى وهو حد الاعجاز

وما يقرب منه وأسفل وهو مبدأ البلاغة والقدر الذى اذا فات الكلام منه شيء التحق بأصوات الحيوانات و بين الطرفين مراتب تكاد تفوت الحصر ﴿ وللبلاغة ﴾ وجوه مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ اما الخلل فى كيفية التركيب لتأدية المعنى المراد واما الخلل فى دلالة المركب وهو ما كان ركنا للاسناد أو قيدا فيه والخلل فى دلالته اما لمخالفة قيد فيها من نحو التعريف أو التنكير لمقتضى الحال أو لمخالفة وضوحها أو خفائها له وتتبع تلك الوجوه رعاية طرق الفصاحة وهى طرق الافهام والتبيين وطرق تزيين الكلام بايداع مايورثه القبول من وجوه التحسين فلذلك جعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام ﴿ فالاول ﴾ يعرف منه الاحتراز فى الافادة لتمام المراد من المعنى عن الخطأ فى كيفية التركيب وفى دلالة المركب على قيد من قيودها وهو علم المعانى ﴿ والثانى) يعرف منه الاحتراز عن الخطأ فى التركيب مما دلالته غير وافية بتمام المراد من وضوح الدلالة أو خفائها وهو علم البيان ﴿ والثالث ﴾ تعرف منه توابع البلاغة من طرق الفصاحة وهو علم البديع

﴿ القسم الاول من الكتاب فى علم المعانى ﴾

وهو تتبع خواص تراكيب الكلام وقيود دلالاته لنحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ماتقتضى الحال ذكره ومقتضى الحال يتفاوت فتارة تقتضى مالا يفتقر فى تأديته الى أزيد من دلالات وضعية وألفاظ كيف كانت ونظم لها لمجرد التأليف وأخرى تقتضى مايفتقر فى تأديته الى أزيد فان مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر والتهنئة والمدح

والترغيب والجد وابتداء الكلام يباين مقام الشكاية والتعزية والذم والترهيب والهزل و بناء الكلام على السؤال وكذا مقام الكلام مع الذكى يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى يخصه ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي اليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام فى باب الحسن والقبول وانحطاطه فى ذلك بحسب مصادفة المقام لما يليق به وعدمها وهو الذي سميناه مقتضى الحال فان كان مقتضى الحال اطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم وان كان مقتضى الحال ترك المحكوم عليه أو تقديم المحكوم به أو غير ذلك فحسن الكلام تطبيقه لمقتضى الحال وورده على الاعتبار المناسب ثم المقصود من هذا القسم منحصر فى خمسة فصول لان الكلام اما خبر واما طلب والخبر إما جملة واحدة واما جمل والجملة لابد فيها من مسند ومسند اليه واسناد ﴿ فالفصل الاول ﴾ فى أحوال الاسناد الخبرى والفصل الثانى فى أحوال المسند اليه والفصل الثالث فى أحوال المسند والفصل الرابع فى الفصل والوصل بين الجمل وفى الايجاز والاطناب والفصل الخامس فى أحوال الطلب

﴿ الفصل الاول فى أحوال الاسناد الخبرى من وروده مؤكدا تارة وغير مؤكد أخرى ﴾ من المعلوم ان حكم العقل حال النطق هو ان يكون قصد المتكلم بكلامه افادة المخاطب بقدر الحاجة فاذا ألقى الجملة الى خالى الذهن عنها ليحضر طرفيها عنده كفى فيه حكمه ويتمكن لمصادفته اياه خاليا واذا ألقاها الى طالب لها متردد فى الاسناد استحسن تقويته بادخال اللام

أو ان فاذا ألقاها الى حاكم فيها بخلافه استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ماأشرب المخالف الانكار فتقول انى صادق لمن ينكر صدقك وانى لصادق لمن يبالغ فى انكار صدقك كما قال رسل عيسى عليه السلام اذ كذبوا فى المرة الأولى انا اليكم مرسلون وفى الثانية انا اليكم لمرسلون واخراج الكلام فى هذه الاحوال على الوجوه المذكورة هو اخراج مقتضى الظاهر وكثيرا مايخرجون الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيحلون المحيط بفائدة الخبر محل الخالى الذهن عنها لتجهيله ويقيمون من لايسأل مقام من يسأل اذا كانوا قدموا اليه مايلوح بالخبر فيستشرف له استشراف الطالب المتحير فيخرجون الجملة اليه مؤكدة كما فعل بشار فى قوله

بكرا صاحبي قبل الهجير ان ذاك النجاح فى التبكير

فانه لما خاطب بيكرا محرضا صاحبيه على التشمير فى شأن السفر تصورهما حائمين حول هل التبكير يثمر النجاح فتلقاهما بان ومثل بيته من التنزيل ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وهكذا ينزلون منزلة المنكر من ليس اياه اذاأروا عليه شيأ من ملابس الانكار كقوله

جاء شقيق عارضا رمحه ان بنى عمك فيهم رماح

ويقابلون ذلك مع المنكر اذا كان معه ماذا تأمله ارتدع فيقولون لمنكر الاسلام الاسلام حق واخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر متى صادف موقعه استهش الانفس وآنق الاسماع ونشط الاذهان ولذلك تجد فرسان البلاغة الرامين فى حدق البيان يستكثرون منه ومن أتقن

الكلام فى اعتبارات الاثبات وقف على اعتبارات النفى

﴿ الفصل الثانى فى أحوال المسند اليه ﴾ كالحذف والاثبات والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير والاطلاق والتقييد بشئ من التوابع أو بالقصر على المسند ﴿ أما حذف ﴾ المسند اليه فلكونه معلوما وتركه راجح لاتباع الاستعمال أو لضيق المقام أو للاحتراز عن العبث أو عن ايهام حوالة تأدية مفهومه على اللفظ دون العقل أو لصونه عن لسانك او لان المسند لايصلح الا له أو لغير ذلك مما لايهدى اليه الا العقل السليم والطبع المستقيم فراجعهما فى مثل قوله

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

وقوله تعالى سورة أنزلناها وقوله فصبر جميل وطاعة معروفة على أحد القولين فيهما ﴿ وأما اثباته ﴾ فلكونه غير معلوم أو معلوما وأريد زيادة ايضاحه وتقريره أو اظهار تعظيمه أو اهانته أو التبرك بذكره أو الاستلذاذ له أو الاحتياط فى احضاره لخفاء القرائن أو غباوة السامع أو بسط الكلام افتراضا لاصغاء السامع كفعل موسى عليه السلام اذ قيل له وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى وزاد أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى ومثله قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين بسطوا الكلام ابتهاجا منهم بعبادة الاصنام وافتخارا بمواظبتها منحرفين عن الجواب المطابق المختصر ﴿ وأما تعريفه ﴾ فلكون المقصود افادة السامع فائدة يعتد لمثلها . فان احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة فى تعريفه أقوى ومتى كان أقرب كانت أضعف و بعد تحقق الحكم

بحسب تخصيص المسند اليه وزيادة بعده بحسب تخصيص المسند ثم تخصيص المسند اليه امالانه أحد أقسام المعارف أو لما زاد على ذلك من كونه مصحوبا باحد التوابع أو بالة صل ﴿ وأما مجيئه مضمرا ﴾ فلكون المقام مقام حكاية أو خطاب أو اشارة الى معهود بذكر أو علم كما فى قوله

أرى الصبر محمودا وعنه مذاهب   فكيف اذا مالم يكن عنه مذهب

هو المهرب المنجى لمن أحدقت به   مكاره دهر ليس عنهن مهرب

ومن حق الخطاب ان يكون مع معين وقد يترك الى غيره كما فى قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم على العموم تفظيعا لحال المجرمين وبيانا لانها من الظهور بحيث لاتختص براء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل فى هذا الخطاب ﴿ وأما مجيئه علما ﴾ فلكون المقام مقام احضار له بما يخصه من الاسم كقوله

ابو مالك قاصر فقره   على نفسه ومشيع غناه

أو تعظيم أو اهانة أو كناية أو ماشا كل ذلك قال الله تعالى تبت يدا أبى لهب أى يدا جهنمى ﴿ وأما مجيئه موصولا ﴾ فلصحة احضاره فى ذهن السامع بواسطة ذكر جملة معلومة الانتساب الى معين واتصل بذلك ان ليس لك أو لسامعك منه أمر معلوم سواه أو ان تستهجن التصريح بالاسم أو تقصد زيادة التقرير كما فى قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه أو توجه ذهن السامع الى ما سيرد ليأخذ منه كقوله

والذى حارت البرية فيه   حيوان مستحدث من جماد

أو الايماء الى وجه بناء الخبر كقولك الذين آمنوا لهم جنات النعيم

والذين كفروا لهم دركات الجحيم أو الى تعظيم شأنه كقوله

ان الذى سمك السماء بنى لنا   بيتا دعائمه أعز وأطول

أو الى تحقيقه كقوله

ان التى ضربت بيتا مهاجرة   بكوفة الجند غالت ودها غول

أو الى تعظيم شأن مذكور فى الصلة أو الى اهانة أو الى تنبيه المخاطب على خطأ كقوله

ان الذين ترونهم اخوانكم   يشفى غليل صدورهم ان تصرعوا

﴿ وأما مجيئه اسم اشارة ﴾ فلصحة إحضاره فى ذهن السامع بوساطة الاشارة اليه حسا واتصل بذلك أن ليس لك أو لسامعك طريق اليه سواها أو ان يقصد كمال تمييزه كقوله

واذا تأمل شخص ضيف مقبل   متسربل سربال ليل أغبر

أوما الى الكوماء هذا طارق   نحرتنى الاعداء ان لم تنحر

أو ان السامع غبى لايتميز الشئ عنده الا بالحس كقوله

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا ياجرير المجامع

أو بيان حاله فى القرب أو البعد أو التوسط أو بقربه تحقيره وعليه ماذا أراد الله بهذا مثلا وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وببعده تعظيمه كقولها فذلكن الذى لمتننى فيه ونحوه ذلك الكتاب ذهابا الى بعده درجة ولم تقل فهذا ويوسف حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واظهارا للعذر فى الافتتان به ومثله وتلك الجنة أو خلاف تعظيمه كما تقول ذلك اللعين

﴿ واما مجيئه معرفا باللام ﴾ فلكون المراد به اما نفس الحقيقة كما فى قوله

تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي أو العموم والاستغراق كنحو ان الانسان لفي خسر أو معهودا بتقديم ذكر أو علم كقوله تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ﴿ واما بجيئه معرفا بالاضافة ﴾ فلكونه لامعرف له غيرها أو أخصر منها والمقام مقام اختصار كقوله

هواى مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثمانى بمكة موثق

أو لكون الاضافة مغنية عن تفصيل غير واف بالحصر أو ممل كقوله

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها فى غيل خفان أشبل

أو متضمنة مجازا لطيفا كقول الآخر

اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل اذاعت غزلها فى القرائب

أو تعظيم شأن المضاف أو المضاف اليه أو غيرهما كما اذا قلت حضر عبد الخليفة أو حضر عبدي أو عبد الخليفة عند فلان أو خلاف تعظيمه كما اذا قلت ولد الحجام عنده ﴿ واما وصف المعرف ﴾ فلكون الوصف مخصصاله نحو زيد التاجر عندنا أو كاشفا عنه كقولك المتقى الذى يؤمن ويصلى ويزكى على هدى من ربه فانك لما وصفته باساس الحسنات وعقيبته بأمى العبادات وذكرت الناهى عن الفحشاء والمنكر فكانك قلت المتقى الذى يفعل الواجبات بأسرها ويجتنب الفواحش والمنكرات عن آخرها وكشفته كشفا كانك حددته ونحوه ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقول الشاعر

الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

أو مادحا أو ذاما أو مؤكدا نحو أمس الدابر لايعود وحق الوصف ان

يكون ثابتا فى نفسه ومتحققا فلايكون طلبا الا بتأويل كقولهم *جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط* تقديره جاؤا بمذق مقول عند رؤيته هذا القول لايراده فى لون الذئب لورقته وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون على معنى أتعرفون من هو فى شدة عتوه وفرط تفرعنه فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله ثم عرف حاله فى ذلك قائلا انه كان عاليا من المسرفين ﴿ واما توكيده ﴾ فدفع توهم المجاز أو الغلط أو النسيان ﴿ واما بيانه وتفسيره ﴾ فلكون المراد زيادة ايضاحه بما يخصه من الاسم قال الله تعالى لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد شفع الهين باثنين والها بواحد دفعا لاحتمال الجنسية ونصا على الشخصية ومنه وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قرن فى الارض بدابة ويطير بجناحيه بطائر لبيان ان القصد من لفظ دابة ولفظ طائر انما هو الى الجنسين والى تقديرهما ﴿ واما الابدال ﴾ فلكون المراد نية تكرير الحكم وذكر المسند اليه بعد توطئة ذكره نحو جاءنى أخوك زيد ولقيت القوم أكثرهم وسلب عمرو ثوبه ﴿ واما العطف عليه ﴾ فلكون المراد التفصيل مع اختصار كنحو جاء زيد وعمرو وخالد ولقيت القوم حتى زيدا أورد السامع الى الصواب نحو زيد جاء لاعمرو أو الشك أو التشكيك أو نحو ذلك ﴿ واما تنكيره ﴾ فلكون المقام للافراد شخصا أو نوعا نحو والله خلق كل دابة من ماء أى من نوع مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة أو لانك لاتعرف من المسند اليه الا جنسه أو يتجاهل كما قالوا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد

كأن لم يكن يعرفون منه الا أنه رجل ما وباب التجاهل فى البلاغة والى سحرها وان شئت فانظر الى لفظ كان فى قول الخارجية

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو لان السامع لايعرف منه الا ذلك القدر أو لان فى شأنه ارتفاعا أو انحطاطا الى حد يوهم انه لايمكن ان يعرف قال أبو السمط

له حاجب فى كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

وكمال الارتفاع فى شأن حاجب الاول والانحطاط فى شأن حاجب الثانى غير خاف وقال الله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة بالتنكير للتهويل وكذا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقال ولكم فى القصاص حياة أى حياة عظيمة لامتناعهم بالقصاص عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لمكان العلم بالقصاص وقال ورضوان من الله أكبر بالتنكير على معنى وقدر يسير من رضوانه خير من ذلك كله لانه سبب كل سعادة وفلاح فاما قوله إنى أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن دون عذاب الرحمن فلقصد التهويل أو خلافه إنى أخاف أن يصيبك نفيان(٣) من عذاب الرحمن ﴿ واما تقديمه على المسند﴾ فلكونه أهم امالان أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه واما لان له صدر الكلام واما لانه ضمير الشأن واما لان فى تقديمه تشويقا الى الخبر ليتمكن كقولك صديقك الفاعل الصانع رجل صدوق واما للتفاؤل كقولك سعد بن سعيد فى دارك وسفاك ابن الجراح فى دار فلان واما لان المطلوب

---

(٣) النفيان بحركة مايتطاير من الرشاء على ظهر المستقى والمراد به هنا قدر يسير من العذاب اهـ

كونه متصفا بالخبر لا نفس الخبر كما اذا قيل لك كيف الزاهد العابد فتقول الزاهد العابد يشرب ويطرب واما لتوهم انه لا يزول عن الخاطر أو لانه يستلذ فهو الى الذكر أقرب واما لان التقديم ينبئ عن التعظيم أو زيادة التخصيص كقوله

متى تهزز بنى قطن تجدهم　　　سيوفا فى عواتقهم سيوف
جلوس فى مجالسهم رزان　　　وان ضيف ألم فهم خفوف

أو دل على العموم كما تقول كل انسان لم يقم فيقدم ليفيد نفى القيام عن كل واحد من الناس لان الموجبة المعدولة المهملة فى قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفى الحكم عن جملة الافراد دون كل واحد منها فاذا سورت بكل وجب ان يكون لافادة العموم لا لتأكيد نفى الحكم عن جملة الافراد لان التأسيس خير من التأكيد ولو لم تقدم فقلت لم يقم كل انسان كان نفيا للقيام عن جملة الافراد دون كل واحد منها لان السالبة المهملة فى قوة السالبة الكلية المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها فى سياق النفى فاذا سورت بكل وجب ان يكون لافادة نفى الحكم عن جملة الافراد لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس ولهذا لما قال ذواليدين أقصرت الصلاة أم نسيت أجابه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله كل ذلك لم يكن على معنى لا شئ من ذلك بكائن ولم يقل لم يكن كل ذلك لئلا يرجع دليل الخطاب على ان بعض ذلك كائن ولما قال أبو النجم

قد أصبحت أم الخيار تدعى　　　على ذنبا كله لم أصنع

رفع كله بالابتداء ولم ينصبه باصنع لانه أنكر صنع كل واحد من الذنوب

فرفع على معنى لم أصنع شيأ من ذلك ولو نصبه لكان انكارا لصنع الجميع واقرارا بصنع بعضه ﴿ واما قصره على المسند ﴾ فلرد السامع عن الخطأ في المحكوم به الى الصواب وله سيوغ وتفاريع فالاولى ان نفرد له بابا في آخر القسم الاول من الكتاب وكثيرا مايخرج المسند اليه على خلاف مقتضى الظاهر فيوضع اسم الاشارة موضع المضمر اعتناء بتمييزه اما لاختصاصه بحكم بديع كقوله

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الاوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

واما لقصد التهكم بالسامع أو النداء على كمال بلادته أو فطانته واما لادعاء انه ظهر ظهور المحسوس كقوله

تعاللت كي أشجى وما بك علة ... تريدين قتلي قد ظفرت بذلك

ويوضع المضمر موضع المظهر كقولهم

ربه رجلا ونعم رجلا زيد وقولهم هو زيد قائم وهي هند مليحة ليتمكن في ذهن السامع مايعقب الضمير فانه متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظرا لعقبي الكلام كيف يكون فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن ويوضع المظهر موضع المضمر لزيادة التقرير كقوله تعالى الله الصمد وقوله وبالحق أنزلناه وبالحق نزل أو تربية المهابة كما يقول الخليفة أمير المؤمنين يرسم كذا وتقوية داعية المأمور وعليه فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين أو الاستعطاف كقوله

* الهي عبدك العاصي أتاكا * وقد ينقل كل من الحكاية والخطاب

والغيبة الى موضع الآخر ويسمى ذلك التفاتا وله ستة أقسام والعرب يستكثرون منه لانهم يرون الانتقال من أسلوب الى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه واملاء باستدرار اصغائه وهم أحرياء بذلك فان قرى الاضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف دأبهم وما كانوا ليحسنوا قرى الاشباح فيخالفوا فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنوا قرى الارواح فلا يخالفوا فيه بين أسلوب وأسلوب وايراد وايراد *القسم الاول نقل الحكاية الى الخطاب كقوله تعالى ومالى لااعبد الذى فطرنى واليه ترجعون الثانى نقل الغيبة الى الحكاية كقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت والثالث نقل الخطاب الى الحكاية كقول ربيعة بن مقروم

تذكرت والذكرى تهيجك زينبا | وأصبح باقى وصلها قد تقضبا

وقول علقمة بن عبدة

طحا بك قلب فى الحسان طروب | بعيد الشباب عصر حان مشيب

تكلفنى ليلى وقد شط وليها | وعادت عواد بيننا وخطوب

والرابع نقل الغيبة الى الخطاب كقول الحرث بن حلزة

طرق الخيال ولا كليلة مدلج | سدكا بارحلنا فلم يتعرج

انى اهتديت لنا وكنت رجيلة | والقوم قد قطعوا متان السجسج

ومثله قول جرير

متى كان الخيام بذى طلوح | سقيت الغيث أيتها الخيام

والخامس نقل الحكاية الى الغيبة كقوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر

فصل لربك والسادس نقل الخطاب الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقد تختص مواقع الالتفات بلطائف معان كالذى في قوله إياك نعبد و إياك نستعين فانه منبه على ان من حق العبد اذا مثل بين يدى مولاه وأخذ فى القراءة ان يكون على وجه يجد معها من نفسه شبه محرك الى الاقبال على من يحمد والوجه ان تكون قراءته عن قلب حاضر يعقل فيم هو وعند من هو فانه متى افتتح كذلك مجريا على لسانه الحمد لله وجد محركا الى الاقبال على من يحمد من معبود عظيم الشأن مستحق للثناء والشكر فاذا انتقل الى قوله رب العالمين واصفا له بكونه ربا مالكا للخلق كلهم قوى ذلك المحرك فاذا قال الرحمن الرحيم فوصفه بما ينبئ عن كونه منعما على الخلق بأنواع النعم تضاعفت قوة ذلك المحرك ثم اذا ختم الصفات بقوله مالك يوم الدين المنادى على كونه مالكا للامر كله يوم الحشر للثواب والعقاب لم يجد بدا من المصير الى الاقبال على مولى شأنه ماتصورت قائلا إياك نعبد يامن هذه صفاته و إياك نستعين لاغيرك والا لم تنطبق على المنزل على ماهو عليه كالذى فى قول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءنى وخبرته عن أبى الاسود

فانه نبه فى التفاته الاول على ان نفسه لورود ذلك النبأ عليها ولهت وله الثكلى فأقامها مقام مصاب لايتسلى الا بتفجع الملوك وتحزنهم عليه فخاطبها بتطاول ليلك تسلية لها أو على ان نفسه لفظاعة ذلك النبأ أبدت

قلقا وكان من حقها ان تتثبت فعل الملوك عند طوارق النوائب فلما لم تفعل ساكتته فى جهلتها فاقامها مقام مكروب يسليه ونبه فى التفاته الثانى على ان صدق تحزنه لايتفاوت حاله خاطب أو لم يخاطب ونبه فى التفاته الثالث على انه يريد نفسه أو نبه فى الاول على ان ذلك النبأ أطار لبه فما فطن معه لمقتضى الحال فجرى على لسانه ماياًلفه الملوك من الخطاب أمرا ونهيا وفى الثانى على انه بعد الصدمة الاولى حين أفاق بعض الافاقة ماوجد النفس معه فبنى الكلام على الغيبة وفى الثالث على ماسبق أو نبه فى الاول على ان نفسه لما لم تصبر غاظه ذلك فاقامها مقام مستحق للعتاب قائلا على وجه التوبيخ تطاول ليلك وفى الثانى على ان الحامل على الخطاب لما كان هو الغضب فحين سكت عنه قليلا ولى عنها الوجه وهو يدمدم قائلا * وبات وباتت له ليلة * وفى الثالث على ماتقدم

﴿ الفصل الثالث فى أحوال المسند ﴾ من الحذف والاثبات والتقديم والتأخير وكون المسند مفردا أو جملة وفى افراده من كونه فعلا أو اسما معرفا أو منكرا مقيدا بشئ من المقيدات أو مطلقا وفى كونه جملة من كونها اسمية أو فعلية حملية أو شرطية ﴿ أما حذف المسند ﴾ فلكونه معلوما وتعلق بتركه غرض كاتباع الاستعمال أوالاحتراز عن العبث كقوله

قالت وقد رأت اصفرارى من به   وتنهدت فاجبتها المتنهد

أى المتنهد هو المطالب أو تخييل ان العقل عند الترك هو معرفه وان اللفظ عند الذكر هو معرفه وكم بين التعريفين ولك ان تأخذ منه والله ورسوله

أحق أن يرضوه أو اختبار فهم السامع وتنبهه للقرائن أو طلب تكثير الفائدة لحمل الكلام عليه تارة وعلى غيره أخرى كقوله تعالى فصبر جميل وطاعة معروفة ﴿ وأما اثباته ﴾ فلكونه غير معلوم أو معلوما وتعلق بذكره غرض كزيادة التقرير أو التعريض بغباوة السامع أو استلذاذه بالخبر أو قصد تعظيم المسند اليه أو اهانته أو التعجب منه كما اذا قلت زيد يقاوم الاسد مع دلالة القرائن أو بسط الكلام أو تعيين كون الخبر اسما ﴿ وأما تقديمه ﴾ فلكونه متضمنا ماله صدر الكلام أو مختصا بالمسند اليه نحو لكم دينكم ولى دين وقولهم تميمى أنا أو اهم عند القائل كما فى نحو عليه من الرحمن ما يستحقه أو عند السامع كقولك هلك خصمك لمن يتوقع ذلك او تقديمه مشوقا الى المسند اليه كقوله

وكالنار الحياة فمن رماد أواخرها وأولها دخان

أو رافع توهم كونه نعتا كقوله

له همم لامنتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

وقال الله تعالى ولكم فى الارض مستقر ﴿ وأما كونه مفردا ﴾ فلكون المطلوب من التركيب نفس الحكم لا تقويه نحو أبو زيد عالم وكر البر بستين ﴿ وأما كونه فعلا ﴾ فلكون المراد التخصيص باحد الازمنة على أخصر ما يمكن مع افادة التجدد قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون أى فويل لهم مما أسلفوا من كتبة مالم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون على ذلك بعد من اخذ الرشا وقال ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون أى فريقا كذبتموه على التمام وفرغتم من تكذيبه وفريقا تقتلون أى لم يتيسر لكم قتله على التمام وانما تبذلون جهدكم ان تتمموه فتحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم فأنتم بعد على القتل ﴿ وأما ﴾

تقييد الفعل ﴾ بنحو المفعول والشرط لتربية الفائدة فيأتى الكلام عليه ﴿ واما كونه اسما ﴾ فلكون المراد افادة خلاف التجدد والاختصاص بأحد الازمنة ﴿ واما كونه منكرا ﴾ فلكونه وصفا غير معهود ولا مختص بالمسند اليه أو منبها على ارتفاع الشأن أو انحطاطه قال الله تعالى هدى للمتقين وقال ان زلزلة الساعة شئ عظيم أو لكون المسند اليه نكرة فاما نحو

كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء

فمن المقلوب كقولهم عرضت الناقة على الحوض والقلب شرع فى التراكيب وهو مما يورث الكلام ملاحة ومنه قول القطامى

* كما طينت بالفدن السياعا * وقول الشماخ * كما عصب العلباء بالعود *

وقول العجاج

ومهمه مغبرة ارجاؤه ... كان لون أرضه سماؤه

وفى التنزيل فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿ واما كونه معرفا ﴾ فلكونه متشخصا عند السامع بأحد طرق التعريف فان قلت اذا كان المسند عند السامع متشخصا والمسند اليه كذلك فماذا يستفيد قلت يستفيد اما لازم الحكم كما فى قولك الذى أثنى على بالغيب أنت لمن علم ان ثناءه نقل اليك ولا يعلم حكمك على المثنى بانه هو وأنت الذى أثنى على بالغيب لمن أثنى عليك هو وغيره وأنت لاتعتبر الا ثناءه وأما نفس الحكم كما فى قولك أخوك زيد لمن يعرف أن له أخا وهو طالب للحكم عليه بالتعيين وزيد أخوك لمن يعرف زيدا وهو طالب حكما له لمتشخص بأحد طرق

التعريف وزيد المنطلق لمن يطلب أن يعرف حكما لزيد باعتبار تعريف العهد أو تعريف الحقيقة واستغراقها والمنطلق زيد للمتشخص عنده المنطلق بأحد الاعتبارين وهو طالب للحكم عليه بالتعيين والاستغراق نوعان عرفى نحو جمع الامير الصاغة وعقلى نحو الله غفار الذنوب واستغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع ومن هذا يظهر لطف قوله تعالى وهن العظم منى دون العظام حيث توصل باختصار اللفظ الى الاطناب فى معناه ﴿واما كونه جملة﴾ فلكون المراد تقوى الحكم بنفس التركيب نحو أنت عرفت وزيد عرف والبر الكر بستين وبكران تعطه يشكرك ثم كون الجملة فعلية أو اسمية هو بحسب مايراد من التجدد والثبوت وهذا يطلعك على أنه لما قال المنافقون آمنا بالله وباليوم الآخر جائين بجملة فعلية على معنى أحدثنا الدخول فى الايمان وأعرضنا عن الكفر طبق المفصل فى الرد عليهم بقوله تعالى وما هم بمؤمنين جملة اسمية مؤكدة النفى بالباء وعلى ان تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه تعالى عنهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم قد أصاب شاكلة الرمى وعلى ان ابراهيم عليه السلام حين أجاب الملائكة عن قولهم سلاما بالنصب بقوله سلام بالرفع قد كان عاملا بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها * واعلم ان للفعل ولما يتعلق به اعتبارات فى الاثبات والحذف والتقديم والتأخير وكذا فى التقييد بالقيد الشرطى ﴿فاما﴾ اثبات الفعل فقد سبق التنبيه على أمثاله ﴿وأما﴾ تركه فلكونه معلوما وتعلق بتركه غرض كاتباع الاستعمال أو قصد الاختصار

كما اذا وقع جوابا لاستفهام ظاهر كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله أو مقدر كقولك يكتب لى القرآن زيد بناء على انك لما قلت يكتب لى القرآن قدرت من يكتبه فقلت زيد وعليه قراءة من قرأ يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال و بيت الكتاب

* ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومنه وجعلوا لله شركاء الجن وفى هذا التقدير والبناء عليه مزايا من الحسن على قولنا يكتب لى القرآن زيد فان الكلام متى نسج على ذلك المنوال كان أبلغ من وجوه وهو انه يفيد اسناد الكتابة الى الفاعل اجمالا أولا وتفصيلا ثانيا ويغنى عن الاخبار بكتابة القرآن والسؤال عن كاتبه وجواب السؤال وكان كل من لفظى القرآن وزيد عمدة غير مستغنى عنه ولم يكن أول الكلام مطمعا فى ذكر الفاعل فاذا ورد على السامع كانت حاله كمن تيسرت له غنيمة من حيث لا يحتسب ﴿ واما ﴾ ترك مفعوله فلكون المراد المبالغة بترك التقييد أو القصد الى نفس الفعل وتنزيل المتعدى منه منزلة اللازم أو الى الاختصار لنيابة القرائن ذاهبا فى نحو فلان يعطى ويمنع الى معنى يعطى كثيرا ويمنع كثيرا أو الى معنى يفعل الاعطاء والمنع ويوجد حقيقتهما وفى نحو فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون الى معنى وأنتم من أهل العلم أو الى معنى وأنتم تعلمون انها لا تماثله ولا تفعل مثل فعله كما قال البحترى

شجو حساده وغيظ عداه * ان يرى مبصر ويسمع واع

المعنى ان يرى مبصر محاسنه ويسمع واع مآثره ولكنه حذف للايماء الى أن الممدوح فرد فى الفضائل فلا يقع بصر الا عليها ولا يعى مستمع

الا أخباره حتى كنى فى شجو حساده علمهم بان هاهنا مبصرا وسامعا وفى نحو ولو شاء لهدا كم أجمعين ونحو ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء الى معنى ولو شاء هدايتكم ويسقون مواشيهم وتذودان غنمهما حتى يصدر الرعاء مواشيهم ومن النادر فى ذلك قول البحترى

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ * ددوالمجد والمكارم مثلا

لما فيه من حسن الاستغناء بالتصريح بنفى وجود مثل للممدوح عن التصريح بطلب مثل له وقد يترك المفعول رعاية للفاصلة كما فى سورة الضحى أو استهجانا لذكره كقول عائشة رضى الله عنها مارأيت منه ولا رأى منى ﴿ واما اعتبار التقديم والتأخير ﴾ فعلى ثلاثة أنواع ﴿ الاول ﴾ ان يقع بين الفعل وماهو فاعل معنى نحو أنا عرفت وأنت عرفت وهو عرف دون زيد عرف ومقتضاه توكيد الحكم أو الاختصاص كما تقول أنا كفيت مهمك على معنى وحدى أولا غيرى وفى قولهم أتعلمنى بضب أنا حرشته شاهد صدق عند من له ذوق وكذا قوله تعالى وما أنت علينا بعزيز أى العزيز علينا ياشعيب رهطك لا أنت لكونهم من أهل ديننا ولذلك أجابهم بأرهطى أعز عليكم من الله أى من نبى الله ولو كان قولهم على معنى ماعززت علينا لما كان الجواب مطابقا ولذلك نهوا ان يقال ماأنا سعيت فى حاجتك ولا أحد سواى ﴿ النوع الثانى ﴾ ان يقع بين الفعل والمفعول ونحوه والمقتضى له التوكيد والتخصيص كما تقول زيدا عرفت على دعوى ثبوت المعرفة له واختصاصها به

ولذلك نهوا أن يقال مازيدا ضربت ولا أحدا من الناس وما زيدا ضربت ولكن أكرمته لان الخطأ لم يقع فى الضرب فترده الى الصواب فى الاكرام وانما وقع فى المضروب فرده الى الصواب ان تقول ولكن عمرا ونسمع المفسرين يقولون قوله تعالى اياك نعبد فى معنى نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك وقوله ان كنتم اياه تعبدون معناه ان كنتم تخصونه بالعبادة وقوله وبالآخرة هم يوقنون قدم فيه الظرف تعريضا بان الآخرة التى عليها أهل الكتاب ليست بالآخرة وايقانهم بمثلها ليس من الايقان بالآخرة التى هى عند الله فى شئ وقوله وأرسلناك للناس رسولا اللام فيه للاستغراق لا للعهد لئلا يفيد اختصاص الرسالة بالعرب ولا للجنس لئلا يفيد اختصاصها بالانس وقوله لافيها غول قدم فيه الظرف تعريضا بخمور الدنيا والمعنى هى على الخصوص لا تغتال العقول اغتيال خمور الدنيا وقوله لاريب فيه لم يقدم فيه الظرف على الاسم لئلا يفيد اختصاص نفى الريب بالقرآن العظيم ويرجع دليل الخطاب على ان ريبا فى سائر كتب الله

﴿ النوع الثالث ﴾ ان يقع بين مايتصل بالفعل والمقتضى له ان تكون العناية بما تقدم أتم وايراده فى الذكر أهم اما لان أصله التقدم ولا مقتضى للعدول عنه كالفاعل فى نحو ضرب زيد عمرا وكالمفعول الاول فى أعطيت زيدا درهما واما لكونه نصب عينك والتفات خاطرك اليه فى التزايد كما اذا قيل لك ماتتمنى فتقول وجه الحبيب أتمنى واما لعروض ماصيره أهم كما اذا توهمت من سامعك انه منتظر له فتبرزه فى معرض مايتكرر فى شأنه التقاضى فحيث تجد لذكره مجالا لم تلبث ان توروده أو كما اذا وعدت

ماوقوعه أوقع عندك فى الاستبعاد فانك تجد من الانكار له مايستتبع زيادة فى القصد والاعتناء بذكره أوكما اذا كان فى التأخير اخلال ببيان المعنى أو بالتناسب وهذه أمثلة من القرآن الكريم تستضىء بها قال الله تعالى فى يس وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى فقدم على المرفوع لكون ماقبله اشتمل على سوء معاملة أهل القرية رسل عيسى عليه السلام وانهم أصروا على تكذيبهم وكان مظنة ان يلمن السامع تلك القرية على سوء منبتها مجيلا فى فكره أكانت بجملتها كذلك أم كان فيها قطردان أوقاص منبت خير منتظر المساق الحديث هل يلم به فصار لهذا العارض مهما فلما جاء موضع له صالح ذكر وقال تعالى فى النمل لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا فقدم المنصوب على المرفوع لانه اشارة الى مضمون ماقبله من الاحياء للكفار ولآبائهم بعد كونهم ترابا ولاشبهة انه أدخل فى الاستبعاد واستلزام زيادة الاعتناء من الاحياء لهم بعد كونهم ترابا وعظاما كما فى المؤمنين فكان لهذا العارض أهم وقال تعالى فى المؤمنين أولا فقال الملأ الذين كفروا من قومه فذكر المجرور بعد صفة المرفوع وهو موضعه وثانيا وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا فقدم المجرور رفعا لتوهم كونه من صلة الدنيا واشتباه أمر القائلين أهم من قومه أم لا وقال تعالى فى طه رب هرون وموسى وفى الشعراء رب موسى وهرون رعاية للفاصلة ﴿ اما تقييد الفعل بالشرط ﴾ فله اعتبارات يكشف عنها الوقوف على مابين أدواته من التفاصيل وهى ان واذا واذ ما ومتى وأين وحيثما ومن وما ومهما وأى وانى ولو ﴿ فاما ان ﴾

فللخلو عن الجزم بوقوع الشرط وتستعمل فى مقام الجزم تجاهلا أو لكون المخاطب غير جازم كقولك ان صدقت فماذا تعمل أو منزلا منزلة الجاهل كما تقول لابن لايراعى حقك ان لم أكن لك أبا فكيف تراعى حقى ﴿ واما اذا ﴾ فللقطع بوقوع الشرط تحقيقا أو باعتبار ما ولذلك غلب لفظ الماضى معها على المستقبل لكونه أقرب الى القطع بالنظر الى لفظه قال الله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه بلفظ اذا فى جانب الحسنة حيث أريد الحسنة المطلقة المقطوع بها كثرة وقوع واتساعا ولذلك عرفت و بلفظ ان فى جانب السيئة مع تنكيرها تقليلا لها اذ لاتقع الا فى الندرة ولا تقع الا فى شئ منها فاما قوله واذا مس الناس ضر فلفظ اذا فيه للنظر الى لفظ المس وتنكير الضر المفيد فى المقام التوبيخى القصد الى اليسير من الضر والى الناس المستحقين ان يلحقهم كل ضر فاما قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فلفظ ان فيه اما للتنزيه عن الريبة لاشتمال المقام على مايقلعها وتصور أنها من العاقل حقيقة بالانتفاء واجب ان لاتورد الا على طريق الفرض كما تفرض المحالات اذا تعلق بفرضها اغراض كقوله ولو سمعوا مااستجابوا لكم واما لتغليب غير المرتابين بمن خوطبوا على مرتابيهم والتغليب باب واسع يجرى فى كل فن قال الله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس وقال وما ربك بغافل عما تعملون وقال جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه خطابا شاملا للانعام والعقلاء المخاطبين منهم والغائبين ومنه قولهم الابوان والقمران والمشرقان

والخافقان وعند النحو بين ان اذ فى ﴿ اذ ما ﴾ مسلوب الدلالة على معناه الاصلى منقول الى الدلالة على الشرط فى المستقبل ﴿ ومتى ﴾ لتعميم الاوقات ﴿ وأين ﴾ لتعميم الامكنة ﴿ وحيثما ﴾ مثلها ﴿ ومن ﴾ لتعميم أولى العلم ﴿ ومهما ﴾ أعم منها ﴿ وأى ﴾ لتعميم مايضاف اليه ﴿ وأنى ﴾ لتعميم الاحوال والمطلوب بهذه الكلمات ترك تفصيل الى اجمال لكونه مملا أو غير واف بالحصر ولكون الجزاء والشرط بغير لو تعلق أمر بحصول ماليس بحاصل استلزم ذلك فى جملتيه امتناع ان تكون احداهما طلبية أو ماضية أو اسمية وانه لايصار الى نحو ان تكرمنى فاكرم زيدا وان أكرمتنى أكرمتك وان تكرمنى فانت مكرم الا لتوخى نكتة كالتنبيه على قوة الاسباب المقتضية لترتيب الجزاء أو على ان ماهو للوقوع كالواقع نحو قولك ان مت وكالتفاؤل أو اظهار الرغبة فى وقوعه كقولك ان ظفرت بحسن العاقبة فذاك أوابراز المقدر فى معرض الملفوظ به لانصباب الكلام الى معناه كقولك ان أكرمتنى الآن فقد أكرمتك أمس أو التعريض نحو ولئن اتبعت أهواءهم لئن أشركت فان زللتم ومثله من التعريض ومالى لاأعبد الذى فطرنى ولذلك قال واليه ترجعون وكذا أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون إنى اذا لفى ضلال مبين ولذلك قال إنى آمنت بربكم فاسمعون وكذا وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قل لاتسألون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون وهذا الاسلوب من الكلام يسمى المنصف ﴿ واما لو ﴾ فلتعليق ماامتنع بامتناع غيره فيستلزم فى كل من جملتيها عدم الثبوت والمضى وان المصير

الى المضارع فى نحو ولو ترى للتنبيه على تنزيل المستقبل منزلة الماضى المقطوع به لصدوره عمن لاخلاف فى اخباره على حد قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فى أحد القولين وفى نحو لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم لتصوير استمرار امتناع الطاعة فيما مضى وقتا فوقتا على حد قصد الاستمرار حالا فحالا بيستهزئ من قوله الله يستهزئ بهم بعد قوله قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ولك ان ترد الغرض من لفظ ترى وترد ويطيعكم الى استحضار صورة الظالمين قائلين لما يقولون وصورة ودادة الكفار لو أسلموا وصورة طاعته لهم كما قال تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وكما قال تأبط شرا

بانى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان

فاضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

مصورا لأهله الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يتطلب منهم مشاهدتها تعجيبا من جرأته وثباته وقوله سبحانه ثم قال له كن فيكون دون كن فكان من هذا القبيل وأمثال هذه اللطائف لايتغلغل فيها الا أذهان الراضة من علماء المعانى ﴿ الفصل الرابع ﴾ فى أحوال انتظام الجمل وفيه بابان ﴿ الباب الاول ﴾ فى الفصل والوصل وهو ترك العطف بين الجمل التى لاموضع لها من الاعراب وذكره الجملة متى نزلت مما قبلها منزلة العارية عنه لانه أريد قطعها عنه أو ابدالها منه أو منزلة نفسه لكمال اتصالها به لكونها موضحة له أو مبينة أو مؤكدة له لم تكن

موضعا لدخول الواو وكذا اذا لم يكن بينها و بين الاولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها وانما يكون موضعا لدخولها اذا توسطت بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع ولكل من ذلك مقام يقتضيه فالمقتضى للقطع نوعان ﴿ الاول ﴾ ان يكون للكلام السابق حكم لايشركه الثانى فيه فيقطع اما احتياطا حيث يكون الكلام السابق لايصح العطف عليه كقوله

وتظن سلمى اننى أبغى بها * بدلا أراها فى الضلال تهيم

لم يعطف أراها على تظن لئلا يوهم انه عطف على أبغى واما وجوبا حيث المانع من العطف موجود كما فى قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم قطع الله يستهزئ بهم لامتناع عطفه على انا معكم لانه ليس من قولهم وعلى خلوا وقالوا لعدم اختصاصه بالظرف المقدم فان استهزاء الله بهم متصل فى شأنهم خلوا الى شياطينهم أو لم يخلوا قالوا تلك المقالة أو لم يقولوها ومثله واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ﴿ النوع الثانى ﴾ من القطع ان يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال فينزل ذلك منزلة الواقع فيستأنف الكلام الثانى جوابا لذلك السؤال فيقطع و ينزل السؤال منزلة الواقع قلما يصار اليه الا لتنبيه السامع على موقعه أو لاغنائه ان يسأل أو لئلا يسمع منه شئ أو لنحو ذلك ومن أمثلة الاستئناف

زعم العواذل اننى فى غمرة * صدقوا ولكن غمرتى لاتنجلى

لم يعطف صدقوا على زعم العواذل لانه حين أبدى الشكاية بقوله
* زعم العواذل اننى فى غمرة * كان ذلك مما يحرك السامع عادة ليسأل
هل صدقوا فى ذلك أم كذبوا فصار هذا السؤال مقتضى الحال فبنى عليه
تاركا للعطف على ماهى عليه ايراد الجواب عقيب السؤال ومنها قوله تعالى
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم
موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان
رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان
كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال
أو لو جئتك بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فان الفصل
فيه للسؤال الذى يستصحبه تصور مقام المقاولة من نحو فماذا قال موسى
فماذا قال فرعون وقوله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء
بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف
قدر مع قوله فقالوا سلاما ماذا قال ابراهيم وقت السلام ومع قوله فقربه اليهم
ماذا قال ابراهيم وقت التقريب ومع قوله فأوجس منهم خيفة ماذا قالوا حين رأوا
منه ذلك وسلوك هذا الاسلوب فى القرآن كثير ﴿ واما المقتضى للابدال ﴾
فان يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد والمقام مقام اعتناء بشأنه
لكونه مطلوبا فى نفسه أو فظيعا أو غريبا أو عجيبا أو لطيفا أو نحو ذلك
فيعيده المتكلم بنظم أو فى منه على نية الاستئناف والقصد الى المراد
لتظهر من المجموع زيادة الاعتناء بالشأن مثاله

أقول له ارحل لاتقيمن عندنا * والا فكن فى السر والجهر مسلما
أبدل لاتقيمن عندنامن ارحل لانه أوفى بتأدية اظهار الكراهية لاقامته
من قوله ارحل لدلالة لاتقيمن عندنا على طلب تركها بالمطابقة مع التأكيد
ودلالة ارحل عليه بالالتزام من غير توكيد ومنه بل قالوا مثل ماقال
الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون واتقوا الذى أمدكم
بما تعلمون أمدكم بانعام و بنين وجنات وعيون قال ياقوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون ﴿ واما المقتضي للايضاح ﴾
فان يكون بالكلام السابق نوع خفاء والمقام مقام ازالة له كقوله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله
والذين آمنوا لم يعطف يخادعون على يقول لكونه مبينا لانهم كانوا يوهمون
بألسنتهم انهم آمنوا وما كانوا مؤمنين قد كانوا فى حكم المخادعين وقال تعالى
فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى
﴿ واما المقتضى للتأكيد ﴾ فان يظن السامع بالكلام السابق تجوزا
أو غلطا أو نسيانا فتعقبه بما يرفع توهم ذلك كما فى قوله تعالى الم ذلك
الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين فانه لما بولغ فى وصف الكتاب
العزيز ببلوغه الدرجة العليا فى الكمال بجعل المبتدأ لفظة ذلك وعرف
الخبر باللام كان عند السامع قبل ان يتأمل مظنة مايرمى به على سبيل
الجزاف من غير اتقان فاتبعه لاريب فيه مسبوقا لوصف التنزيل بكونه
هاديا اتبعه هدى للمتقين تقريرا له وكذا قوله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم وقوله كان لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا ﴿ واما المقتضى لكمال

الانقطاع ﴾ مابين الجملتين فنوعان الاول ان يختلفا خبرا وطلبا والمقام عار عما يزيل الاختلاف كقوله

فقال قائلهم ارسوا نزاولها * فكل حتف امرئ يجرى بمقدار

وكقولهم مات فلان رحمه الله ولا تدن من الاسد يأكلك الثانى ان يتفقا خبرا أو طلبا وليس بينهما جامع مثل ان تقول كان معى فلان فقرأ ثم خطر ببالك ان المخاطب جوهرى ولك جوهرة لاتعرف قيمتها فتعقب كلامك بان تقول لى جوهرة لاأعرف قيمتها فهل أريكها فتفصل أو بينهما جامع غير ملتفت اليه لبعده كقولك كتاب سيبويه كتاب لانظير له ولا غنى لامرئ فى اقتناء العلوم الاسلامية عنه وأنه فيها أساس أى أساس ان الذين يرضون بالجهل لايدرون ماالعلوم وما أساس العلوم فتفصل ان الذين يرضون بالجهل عما قبله لكونه حديثا عن كتاب سيبويه وكون مابعده حديثا عن الجهال وسوء ماأمرهم به جهلهم وقوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون بالقطع من هذا القبيل والبعد ملزوم للانقطاع لان الواو للجمع فالعطف بها فيما نحن فيه كالجمع بين الضب والنون ولهذا عيب على أبى تمام قوله

لاوالذى هو عالم ان النوى * صبر وان أبا الحسين كريم

﴿ واما المقتضى للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع ﴾ فان يكون بين الجملتين مايجمعهما فى الذهن جمعا من جهة العقل أو الوهم أو الخيال والجامع العقلى ان يكون بينهما اتحاد فى تصور أو تماثل فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص فى الخارج يرفع التعدد عن البين أو

تضايف كالذى بين العلة والمعلول والسفل والعلو والاقل والاكثر فالعقل يأبى ان لايجتمعا والوهمى ان يكون بين تصوراتهما شبه تماثل كالبياض والصفرة فان الوهم يبرزهما فى معرض المثلين ولذلك حسن الجمع بين تلك الثلاثة فى قوله

اذا لم يكن للمرء فى الخلق مطمع * فذو التاج والسقاء والذر واحد

أو تضاد كالجهر والهمس والحلاوة و لحموضة والملاسة والخشونة فان الوهم ينزل الضدين منزلة المتضايفين ولذلك تجد الضد أقرب حضورا فى البال مع الضد والخيالى ان يكون بين تصوراتهما تقارن فى الخيال لاسباب مؤدية اليه والاسباب فى ذلك متباينة فمن أسباب تجمع بين صومعة وقنديل وقرآن ومن أسباب تجمع بين دسكرة وابريق واقران على حسب ماتقتضيه العادة ولصاحب علم المعانى فضل احتياج الى التنبيه لاسباب هذا الجامع فان من لم يتنبه لمثلها وهو من أهل الحضر أنى يستجلى كلام رب العزة تعالى مع أهل الوبر أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت لبعد البعير عن خياله فى مقام النظر ثم بعده عن السماء و بعد خلقه عن رفعها وكذا البواقى لكن اذا تنبه لما عليه تقلبهم فى حياتهم جاء الاستجلاء وذلك ان أهل الوبر مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشى فعنايتهم مصروفة لامحالة الى أعظمها نفعا وهى الابل ثم انتفاعهم بها لما لم يحصل الا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر وأهم مسارح النظر عندهم السماء ولما كانوا مضطرين الى مأوى يؤويهم ولا مأوى

ولا حصن الا الجبال

لنا جبل يحتله من نجيره ✽ منيع يرد الطرف وهو كليل

كانت بمكان من التفات خاطرهم اليها واذا تعذر عليهم طول مكثهم فى منزل ومن لاصحاب المواشى بذلك كان عقد الهمة عندهم بالتنقل فى الارض من عزم الامور فلما تآخذت عندهم تلك الامور حسن فى الحديث بها معهم عطف بعضها على بعض هذا ﴿ واعلم ﴾ ان الجملتين اذا اتفقتا خبرا وطلبا فمن محسنات العطف أمران أحدهما أن تشرك بينهما فى جوامع فكلما كانت الشركة أظهر كان الوصل بالقبول أجدر كما فى قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم والثانى ان تتناسبا فى الاسمية أو الفعلية وفى المضى أو الاستقبال فلا يصار الى خلاف ذلك فى بليغ الكلام الا لتوخى نكتة كالتنبيه على الاختلاف فى التجدد والثبوت كما فى قوله تعالى سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وقوله قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين وان اختلفت الجملتان خبرا وطلبا فمن محسنات العطف بعد الاشتراك كون المقام مشتملا على مايزيل الاختلاف اما من تضمين الطلب معنى الخبر كما فى عطف وألق عصاك على نودى أن بورك من فى النار ومن حولها ومثله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى بتقدير وقلنا اتخذوا واما من تضمين الخبر معنى الطلب كما فى عطف وقولوا للناس حسنا على لاتعبدون الا الله لكونه فى معنى لاتعبدوا وفى عطف وامتازوا اليوم أيها المجرمون على ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون لاشتمال فحواه على معنى فليمتازوا

اليوم عنكم يا أهل المحشر الى الجنة وقيل فى بشر فى قوله تعالى و بشر الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انه معطوف على فاتقوا النار وفى قوله و بشر
الصابرين على استعينوا بالصبر والصلاة وفى قوله و بشر المؤمنين فى الصف
على تؤمنون لكونه فى معنى آمنوا والاقضى لحق البلاغة ان يكون
معطوفا على قل مقدرا أولا قبل يا أيها الناس اعبدوا ربكم وثانيا قبل يا أيها
الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة وثالثا قبل يا ايها الذين آمنوا هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ولنختم الباب بذكر الحال التى
تكون جملة لمجيئها بالواو تارة وبدونها أخرى فنقول الحال المفردة نوعان
مقيدة ومؤكدة ولهما أصل فى الكلام ونهج فى الاستعمال فاصلهما أن
تكون المقيدة وصفا غير ثابت والمؤكدة وصفا ثابتا ونهجهما ان يكونا
غير منفيين نحو جاء زيد راكبا دون لاماشيا وهو الحق بينا دون لاخفيا
ولا يدخل النوعين الواو لان اعرابهما بغير تبع وهذا حق الجملة الواقعة
حالا لكن النظر اليها من حيث هى مستقلة بفائدة وغير متحدة بالاولى
اتحادها اذا كانت مؤكدة مثلها فى نحو هو الحق لاشبهة فيه وغير منقطعة
عنها الجهات جامعة كما فى نحو جاء زيد يعد وفرسه يبسط العذر فى ان
تدخلها واو للجمع بينها و بين الاولى والضابط فيه ان الجملة متى كانت
واردة على أصل الحال بان كانت فعلية وكانت واردة على نهجها أيضا بان كانت
مضارعا مثبتا وجب ترك الواو ومتى كانت غير واردة على نهج الحال
كما اذا كانت مضارعا منفيا جاز ذكر الواو وتركها ارجح قال

اكسبته الورق البيض أبا * ولقد كان ولا يدعى لاب

وقال الآخر

لو ان قوما لارتفاع قبيلة * دخلوا السماء دخلتها لاأحجب

وقال الآخر

مضوا لايريدون الرواح وغالهم * من الدهر أسباب جرين على قدر

والفعل الماضى لوروده لاعلى نهج الحال لكونه اما منفيا أو مع قد ظاهرة أو مقدرة ليصلح للحال منتظم فى سلك المضارع المنفى الا ليس فيجوز معه ترك الواو كقوله

اذا جرى فى كفه الرشاء * خلى القليب ليس فيه ماء

وذكرها أرجح قال الله تعالى ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه ومتى كانت الجملة غير واردة على أصل الحال بان كانت اسمية فالوجه ذكر الواو وقد تترك كقولهم كلمته فوه الى فى ورجع عوده على بدئه وكقوله

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

وما أنشده أبو على فى الاغفال

ولولا جنان الليل ماآب عامر * الى جعفر سرباله لم يمزق

وهو كثير فى نحو جاءنى عليه جبة صوف

﴿ الباب الثانى فى الايجاز والاطناب ﴾

ولكونهما نسبيين لايتيسر الكلام فيهما الا بتقديم أصل وهو انه لايخلو كلام عن أحد أمور ثلاثة. اما المساواة وهو أن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لاناقصا عنه بحذف للاختصار ولا زائدا عليه بمثل الاعتراض

والتتميم والتكرار كما قال الواصف لبعض البلغاء كانت الفاظه قوالب لمعانيه واما التضييق وهو ان ينقص من الكلام مايصير به لباس لفظه أضيق من قدر معناه واما التوسيع وهو ان يزاد فى الكلام مايصير به على الضد مما قد ذكرناه والمساواة نوعان مساواة مع الاختصار ومساواة بدونه فالاول ان يتحرى البليغ فى تأدية معنى كلامه أخف مما يمكن فيحتال على الالفاظ القليلة الحروف والكثيرة المعانى التى يعز تحصيل مثلها على من دونه فى البلاغة والثانى ان يأتى بالمساواة كيفما اتفق من غير ماتحر و يسمى ذلك متعارف الاوساط وهو فى باب البلاغة لايحمد منهم ولا يذم واذ قد سمعت هذا فنقول ﴿ الايجاز ﴾ هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف الاوساط أو مما يليق به حال المتكلم من التوسيع والانبساط ﴿ والاطناب ﴾ هو أداء المقصود من الكلام بأكثر من عبارة متعارف الاوساط وسواء كانت القلة أو الكثرة راجعة الى الجمل أو الى غيرها ولكل منهما مراتب فما صادف منها الموقع حمد والاذم وسمى الايجاز اذ ذاك عيا وتقصيرا والاطناب اكثارا وتطويلا ﴿ أما الايجاز ﴾ فعلى ثلاثة أضرب ﴿ الاول ﴾ سلوك طريق التضييق بحذف بعض الكلام تحقيقا لقوة الدلالة على معناه ومن أمثلته قوله تعالى هدى للمتقين أصله هدى للضالين الصائرين الى التقوى بعد الضلال فاختصر توصلا الى وصف الشئ بما يؤول اليه والى تصدير أولى الزهراوين بذكر أوليائه تعالى وقوله تعالى يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم أصله يلقون أقلامهم ينظرون ليعلموا أيهم يكفل مريم وقوله فلم تقتلوهم بطى ان

افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أنتم فعدوا عن الافتخار وقوله فالله هو الولى تقديره ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق لاولى سواه وقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تتمته ذهبت نفسك عليه حسرة أو كمن هداه الله مدلولا عليه بما بعد وقوله قل أتنبئون الله بما لايعلم أى بما لاثبوت له ولا علم الله متعلق به نفيا للملزوم بانتفاء لازمه ومثله بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا أى شركاء لاثبوت لها أصلا ولا أنزل الله باشرا كهم حجة على أسلوب قوله* على لاحب لايهتدى بمناره * أى لامنار له ولا اهتداء به وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء تقديره لاجل الادخال فى الرحمة كان الكف ومنع التعذيب وانظر الى الفاء الفصيحة فى قوله فتاب عليكم بعد قوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم كيف أفادت فامتثلتم فتاب عليكم وتأمل قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى أليس يفيد فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى ﴿ الضرب الثانى ﴾ سلوك طريق المساواة مع الاختصار وهو ان يكون للمعنى عبارتان متساويتان واحداهما أطول لتفصيل أو غيره فتعدل عنها الى الاخرى والعلم فى أمثلته قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة واصابته المحز بفضله على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى وهو القتل أنفى للقتل من وجوه أحدها كونه أوجز لان عدة حروفه عشرة وعدة حروف المثل أربعة عشر وثانيها سلامته من تكرار الحروف المتنافرة المخارج وثالثها التصريح فيه بلفظ الحياة فان النص على اسمها

أحسن عند الانسان لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب من الكناية عنها بلفظ القتل ورابعها صحة معناه من قبل ان تنكير لفظ الحياة قد أفاد معنى فى القصاص حياة عظيمة أو نوع من الحياة وهو معنى على حسنه وغرابته وارد على نهج الصدق وخارج مخارج الحق البحت بخلاف قولهم القتل أنفى للقتل فان معناه غير صحيح وحقيقته غير مرادة لهم ومن الامثلة قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين لاشتماله مع الاختصار على ماتضمنه قوله خذ من أموالهم صدقة وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ومنها قول الشاعر

وفى قرب القلوب لكل صب ＊ شفاء ليس فى قرب الديار

لاشتماله مع الاختصار على حاصل قول الآخر

على ان قرب الدار ليس بنافع ＊ اذا لم يكن بين القلوب قريبُ

وقول لبيد

وبنو الديان أعداء للا ＊ وعلى ألسنهم ذات نعم

زينت احسابهم انسابهم ＊ وكذاك الحلم زين للكرم

وأمرها ظاهر ﴿ الضرب الثالث ﴾ ان يكون المعنى عندك خليقا بمزيد البسط فتتركه الى بسط أخصر منه لتوخى نكتة كالاحتراز عن الاملال أو عن غيره ومن أمثلته قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى لانه وان تعدى درجته الاولى وهى مثل يأمر الله بالحسنات وينهى عن السيئات فلم يبلغ حد

مايقتضيه مقام أمر العباد بفعل السنن والواجبات و بترك جميع الفواحش والمنكرات من استفراغ القائل فى تفصيله بذل المجهود واستغراقه فى الانباء عنه كل حد معهود فلذلك عد من الايجاز ومنها قول زكريا عليه السلام رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا بتمدى أصل الكلام ومرتبته الاولى وهو يارب انى قد شخت لكونه فى مقام المبالغة وشكوى التلقى لتوابع انقراض الشباب فمن حقه ان يبالغ فيه و يطنب كل إطناب فترك المرتبة الاولى الى تفصيلها فى ضعف بدنى وشاب رأسى ثم ترك التصريح فى ضعف بدنى الى الكناية فى وهنت عظام بدنى ثم بنيت الكناية على الاسم وأدخلت عليه ان فحصل انى وهنت عظام بدنى ثم سلك بالكلام طريق الاجمال والتفصيل فحصل انى وهنت العظام من بدنى ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به ترك توسيط البدن ثم لطلب شمول الوهن للعظام فردا فردا ترك الجمع الى الافراد فحصل انى وهن العظم منى وهكذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى الى الاستعارة فى اشتعل شيب رأسى ثم حول الاسناد الى الرأس وفسر بشيبا لافادة شمول الاشتعال للرأس فحصل اشتعل رأسى شيبا ثم سلك به طريقا الاجمال والتفصيل فحصل اشتعل الرأس منى شيبا ثم تركت لفظة منى لقرينة عطفه على وهن العظم منى توصلا الى ايهام حوالة تأدية مفهومه على العقل دون اللفظ ثم اقتصر على ذلك بعد مااختصرت مقدمة الكلام بحذف حرف النداء وياء الاضافة واستغنى بلفظ المنادى فحسب ومتى اختصر البليغ المبدأ فقد آذن باختصار مايورد كما فيل بما نحن فيه فانه وان جاء

على نوع من المبالغة والبسط ولكن مقامه خليق بأبسط مما جاء عليه لكونه كلاما فى معنى انقراض أيام ما صدق من يقول فيها

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وفى إلمام المشيب المؤذن بالمغيب

تعيب الغانيات على شيبى * ومن لى ان أمتع بالمعيب

﴿ واما الاطناب ﴾ فهو أيضا على ثلاثة أضرب ﴿ الاول ﴾ سلوك طريق التوسيع بالتفصيل ومن أمثلته قوله تعالى واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ترك ايجازه وهو اتقوا يوما لاخلاص فيه عن العقاب لمن أذنب لكونه كلاما مع الامة لنقش صورة ذلك اليوم فى ضمائرهم وفيهم العالم والجاهل والمسترشد والمعاند والفهم والبليد فلم يوجز لئلا يختص المطلوب بفهم واحد دون واحد أو يناسب قوة سامع دون سامع وقوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ترك ايجازه وهو آمنا بالله وبجميع كتبه لكونه بمسمع من أهل الكتاب وفيهم من لايؤمن بالتوراة ولا بالقرآن الكريم وهم النصارى وفيهم من لايؤمن بالانجيل ولا بالقرآن الكريم وهم اليهود وكل يدعى الايمان بما أنزل الله تقريعا لاهل الكتاب وليبتهج المؤمنون بما أوتوا من كرامة الاهتداء وقوله تعالى إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد

موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون لم يؤثر ايجازه وهو ان في وجود الممكنات لآيات للعقلاء لكونه كلاما ليس مع الانس فقط بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا وان فيهم من يعرف ويقدر انه من مرتكبي التقصير في باب النظر فأي مقام للكلام ادعى لترك ايجازه الى الاطناب من هذا المقام ﴿ الضرب الثاني ﴾ سلوك طريق التوسيع بمثل التتميم كقول موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري بزيادة لي تأكيدا لطلب الانشراح لمزيد الاحتياج اليه لكونه وقت الارسال المؤذن بتلقي المكاره وضروب الشدائد وكقول امرئ القيس

نظرت اليك بعين جارية * حوراء حانية على طفل

فانه حين أراد المبالغة في وصف عين المرأة بالحسن لم يكتف بتشبيهها بعين ظبية حوراء فتمم بقوله حانية على طفل لان لنظر الظبية الى خشفها حال اشفاقها وعطفها عليه من الملاحة وحسن الفتور ماليس له في غير تلك الحال ﴿ الضرب الثالث ﴾ التوسيع بمثل التذييل كقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا لو أريد اختصاره لما أجرى ويؤمنون به في الذكر اذ ليس أحد من مصدق حملة العرش يرتاب في ايمانهم ووجه حسن ذكره اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه وقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين

لكاذبون لو أوثر اختصاره لما جيء بقوله والله يعلم انك لرسوله ولكن
لما كان مساق الآية لتكذيب المنافقين فى دعوى الاخلاص جيء به لرفع
ايهام رد التكذيب الى نفس الشهادة

﴿ الفصل الخامس فى أحوال الطلب ﴾

ولا يخرج عن ان يكون طلب حصول مافى الخارج فى الذهن أو حصول
مافى الذهن فى الخارج من تصور أو تصديق مثبت أو منفى وهو نوعان
لانه اما ان لايستدعى فى مطلوبه امكان الحصول فلا طماعية لك فيه واما
ان يستدعى فيه ذلك ﴿ النوع الاول ﴾ التمنى وكلمته الموضوعة له ليت
نحو ليت زيدا جاءك وليت الشباب يعود واما هل فى قوله فهل لنا من
شفعاء فدخيلة عليها وكذا لو فى لو تأتينى فتحدثنى لما فيه من تقدير غير
الواقع واقعا وكان حروف التحضيض مأخوذة منهما مركبتين مع ما ولا
المزيدتين فاذاقلت هلا فعلت كان المعنى ليتك فعلت متولدا منه معنى التنديم
واذا قلت هلا تفعل كان متولدا منه معنى السؤال والتحضيض ﴿ وأما النوع
الثانى ﴾ فأربعة أقسام الاستفهام والامر والنهى والنداء (القسم الاول)
الاستفهام وهو طلب مافى الخارج ان يحصل فى الذهن من تصور أو
تصديق موجب أو منفى وحروفه الهمزة وهل وأم فيستفهم بالهمزة عن
التصور والتصديق وبهل عن التصديق لاغير ولذا لم يجز هل زيد قائم
أم عمرو وقبح هل رجل قائم وهل زيدا ضربت ويستفهم بأم المتصلة
عن التصور دون التصديق ولاختصاص هل بطلب التصديق استلزمت
مزيد اختصاص دون الهمزة بما لاينفك عن التصديق وهو الفعل

ولذا كان قوله تعالى فهل أنتم شاكرون أدخل فى الانباء عن طلب الشكر من قولنا فهل أنتم تشكرون لانه ينبئ عن التجدد ومن قولنا أفأنتم شاكرون لما علمت ان هل ادعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معها أدخل فى الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد و يستفهم نيابة عن الهمزة (بما) عن الجنس مطلقا أو الوصف (و بمن) عن الجنس من ذوى العلم (و بأى) عن الوصف المميز (و بكم) عن العدد (و بكيف) عن الحال (و بأين) عن المكان (و بمتى) عن الزمان (و بأنى) عن الحال والمكان والزمان (و بأيان) عن الزمان المستقبل ولكون الاستفهام طلب مافى الخارج ان يحصل فى الذهن استلزم ان لايكون واردا على الحقيقة الا اذا صدر من شاك مصدق بامكان الاعلام ومتى صدر من عالم بحال المستفهم عنه أو قد لايصدق بامكان الاعلام به فهو والا بطريق المجاز وكثيرا مايعدى الاستفهام عن مورد الحقيقة الى مايناسب المقام من افادة التمنى كما سبق أوالعرض كقولك الاتنزل عندنا فتصيب خيرا أو التحضيض كقولك لمن بعثته الى مهم فلم يذهب أما ذهبت أو الزجر كقولك لمن يؤذى أباه أتفعل هذا أو التوبيخ كقولك لمن يهجو أباه أتهجو نفسك أو التقريع كقوله تعالى أين شركائى الذين كنتم تزعمون أو التهديد أوالوعيد كقولك ألم أؤدب فلانا وكم أحلم عنك أو التهكم كقوله تعالى حكاية عن قوم شعيب أصلوتك تأمرك ان نترك مايعبد آباؤنا أو ان نفعل فى أموالنا مانشاء أو التعجب أو التعجيب كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم وقوله مالى لاأرى الهدهد وقوله قالوا أبشرا منا واحدا نتبعه أو

التنبيه على الضلال كقوله تعالى فأين تذهبون أوالتقرير كقولك لمن جاءك أجئتنى ومثله قالوا أأنت فعلت هـذا بآلهتنا ياابراهيم أو المبالغة فى المدح كقوله

بدا فراع فؤادي حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

أوفى الذم كقول زهير * أقوم آل حصن أم نساء * أو التدله فى الحب كقول العرجى

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

أو فى الجحد والانكار كقولك متى قلت هـذا وعليه قوله تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه وقوله وهل يجازى إلاالكفور وهذا النوع من الكلام أعنى تعدى الاستفهام عن مورد الحقيقة يسمى الاعنات وسماه ابن المعتز تجاهل العارف واذا أردت بالاستفهام التقرير فاحذه على مثال الاثبات فقل فى تقرير الفعل أضربت زيدا وفى تقرير الفاعل أأنت ضربت زيدا كما قال تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم وفى تقرير المفعول أزيدا ضربت واذا أردت به الانكار فاحذه على مثال النفى قال الله تعالى أصطفى البنات على البنين وقال أهم يقسمون رحمة ربك وقال آلذكرين حرم أم الانثيين ولعلك ان الاستفهام طلب والطالب انما يكون بما يهمك ويعنيك أمره فلا تعجب من لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام ومقتضى الاستفهام جواب مطابق فلا تخل به الا لتوخى نكتة كما فى قوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج قالوا مابال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم ينقص

حتى يعود كابدا فأجيبوا بما ترى تنزيلا للسؤال منزلة غيره للتنبيه بالطف وجه على تمدى السائل سؤالا هو أليق بحاله أو أهم ومثله يسألونك ماذا ينفقون قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سألوا عن بيان ماينفقون فاجيبوا ببيان المصرف وانهذا الاسلوب لربماصادف الموقع فحرك نشاط السامع ماسلبه حكم الوقور وابرزه فى معرض المسحور (القسم الثانى الامر) وهو اصطلاحا ماقرن باللام الجازم أو ضمن معناه ولغة حصول الثبوت فى الخارج بذلك على وجه الاستعلاء والاظهر ان صيغ الامر موضوعة لذلك لتبادر الفهم عند سماعها الى الامر وتوقف ماسواه على القرينة ولا تفاقهم على اضافة الصيغ الى الامر دون غيره ولا شبهة ان الطلب على وجه الاستعلاء يستدعى ايجاب المطلوب فان كان الامر من الاعلى استتبع ايجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة والا أفاد الطلب فى ضمن الدعاء أو الالتماس أو الاباحة أو التهديد أو التحدى أو اظهار الرضا بوقوع الداخل تحت الطلب الى حد كان المرضى مطلوب قال كثير

أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

أو اظهار نفى تفاوت الجواب بتفاوت الداخل تحت الطلب كقوله تعالى استغفرلهم أو لاتستغفر لهم قل انفقوا طوعا أوكرها (القسم الثالث النهى) وهو اصطلاحا ماقرن بلا الجازمة ولغة طلب حصول الانتفاء فى الخارج بذلك على وجه الاستعلاء فان أستعمل فيه بالشرط المذكور أفاد الحظر والاأفاد الطلب فى ضمن الدعاء أوالالتماس أو الاباحة أو التهديد أو نحو

ذلك والامر والنهي حقهما الفور لانه الظاهر من الطلب ولبادر الفهم عند أمر المولى عبده بالقيام ثم أمره قبل ان يقوم بالاتكاء الى تغيير الامر دون ارادة الجمع والاستحسان ذم العبد لترك المبادرة وليس شئ من الامر والنهي بأصل فى المرة ولا فى الاستمرار بل الطلب بهما ان كان راجعا الى قطع الواقع فالاشبه المرة وان كان الى اتصال الواقع فالاشبه الاستمرار (القسم الرابع) مايتعلق بالنداء من ذكر أدواته وتفصيل أحكامه فى علم النحو فلا نتعرض له بل لنوع صورته صورة النداء وليس به وهو قولهم أنا أفعل كذا أيها الرجل ونحن نفعل كذا أيها القوم واللهم اغفر لنا أيتها العصابة يراد بهذا النوع من الكلام الاختصاص على معنى أنا أفعل كذا متخصصا من بين الرجال ونحن نفعل كذا متخصصين من بين الاقوام واللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب وقد يقع الخبر موقع الطلب اما لقصد التفاؤل كقولك أعاذك الله من الشبهة وعصمك من الحيرة على عدها من الامور الحاصلة وهو مستحسن اوما ترى هرون كيف خلع على كاتبه حين سأله عن شئ فقال لا وأصلح الله أمير المؤمنين لما لم يسمع منه ماعليه الاغبياء من ترك الواو وغير هارون حين خرج الى ناحية فتراءت له شجرة فسأل عنها كاتبه فقال شجرة الوفاق فكساه واما الحرص فى وقوعه فالطالب متى تناهى حرصه ربما انتقش فى الخيال مطلوبه فيتوهم غير الحاصل حاصلا حتى اذا حكم الحس بخلافه غلطه تارة واستخرج له محملا أخرى كما قال المعرى

ماسرت الا وطيف منك يصحبني * سرى امامى وتأويبا على اثرى

أى لكثرة ماأناجيك انتقشت فى خيالى فاعدك فى الليل بين يدى مغلطا للبصر لعلة الظلام وأعدك فى النهار خانى لما لم يتيسر لى تغليطه لوجود الضياء واما القصد الكناية أوالاحتراز عن صورة الامر كما يقول العبد ينظر المولى الى ساعة واما غير ذلك من لطائف الاعتبارات والله أعلم

﴿ باب القصر ﴾

ويجىء تارة لقصر الموصوف على الصفة وأخرى لقصر الصفة على الموصوف اما قصر افراد يفيد التخصيص لامر ببعض مايعتقد السامع ثبوته له واما قصر قلب يفيد التخصيص لامر بغير مايعتقد السامع ثبوته له و يقع بين طرفى الاسناد وغيره وله أربع طرق ﴿ احداها العطف ﴾ كقولك فى قصر الموصوف على الصفة زيد شاعر لا منجم وما زيد منجم بل شاعر وفى قصر الصفة على الموصوف زيد شاعر لا عمرو وما عمرو بشاعر بل زيد والفرق بين القصرين ان الموصوف فى الاول يمنع مشاركة صفته لغيرها فيه ولا يمنع مشاركته لغيره فيها والثانى بالعكس ﴿ وثانيها النفى والاستثناء ﴾ كما يقول فى القصرين مازيد الا شاعر وما شاعر الا زيد ووجه القصر فى الاول انك متى قلت مازيد توجه النفى الى وصف زيد دون ذاته وحين لانزاع فى طوله ولا قصره ولا ماأشبه ذلك بل فى كونه شاعرا فحسب أو غير شاعر فيتناوله النفى فاذا قلت الاشاعر جاء القصر و وجهه فى الثانى انك متى قلت ماشاعر فادخلت النفى على الوصف المسلم ثبوته صرف العقل النفى الى ثبوت الوصف لمن يصح فى حقه النزاع فاذا قلت الا زيد جاء القصر ومن أمثلة قصر الافراد قوله تعالى وما محمد الا رسول أى هو

مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك وقوله ان حسابهم الا على ربى أى حسابهم مقصور على الاتصاف بعلى ربى لا يتجاوزه ان يتصف بعلى وقوله ان أنتم الا تكذبون أى أنتم مقصورون على الكذب عندنا لا تتجاوزونه الى احتمال حق ومن أمثلة قصر القلب قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ماقلت لهم الا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله لانه جواب لما دل عليه أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله على معنى انك ياعيسى قلت للناس مالم آمرك به ﴿وثالثها انما﴾ ووجه القصر فيه تضمنه معنى ما والا ولذلك تسمع المفسرين لقوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم بالنصب يقولون معناه ماحرم عليكم الا الميتة والدم وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة والدم لما بعده وترى أئمة النحو يقولون انما اثبات لما بعدها ونفى لما سواه ويعللون ذلك بأن كلمة ان لما كانت للتأكيد واتصلت بها ما الزائدة ضاعف تأكيدها فناسب أن يضمن معنى القصر فان القصر تأكيد للحكم على تأكيد ألا ترى قولك زيد جاء لا عمرو كيف أفاد اثبات المجيء فى الاول صريحا وفى الآخر ضمنا ومما ينبه على تضمنه معنى ما والا قوله

أنا الذائد الحامى الذمار وانما * يدافع عن أحسابهم أنا ومثلى

﴿ ورابعها التقديم ﴾ كما فى تميمى أنا وأنت عرفت وزيدا ضربت على ماسبق وافادته القصر بطريق الفحوى وحكم الذوق والطريق الاول للنص على المثبت والمنفى ولا يجامع الثانى فيقال ماقام الا زيد لا عمرو لان شرط

العطف بلا أن لايكون منفيها منفيا بغيرها والطريق الثانى للرد عن خطأ يصر عليه وما قال الكفار للرسل ان أنتم الا بشر مثلنا الا والرسل عندهم فى معرض المنتفى عن البشرية بناء على ان الرسول عندهم يمتنع ان يكون بشرا وأما قول الرسل ان نحن الا بشر مثلكم فمن باب مجاراة الخصم ليعثر حتى يراد تبكيته والطريق الثالث للرد عن خطأ لايصر عليه أو يجب ان لايصر عليه فالاول كقولك لمن ترققه على أخيه انما هو أخوك والثانى كقوله تعالى حكاية عن اليهود قالوا انما نحن مصلحون ادعوا ان كونهم مصلحين أمر ظاهر مكشوف ولذلك أكد الامر سبحانه فى رد دعواهم فقال ألا انهم هم المفسدون وقول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ادعى ان كون مصعب شهابا جلى على عادة الشعراء فيما يمدحون به كما قال

لاادعى لابى العلاء فضيلة * حتى يسلمها اليه عداه

واعلم ان القصر كما يجرى بين المبتدا والخبر فيما رأيت كذلك يقع بين الفاعل والمفعول ونحوها فلنذكره بطريق النفى والاستثناء وطريق انما تقول فى قصر الفاعل على المفعول ماضرب زيد الا عمرا وفى قصر المفعول على الفاعل ماضرب عمرا الا زيد بتأخير المقصور عليه وقد يقدم نحو ماضرب الا زيد عمرا لكن قل دور مثله فى الكلام لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف وتقول فى قصر المفعول على المجرور مااخترت رفيقا الا منكم وفى قصر المجرور على المفعول مااخترت منكم الا رفيقا وفى قصر ذى الحال عليها ماجاء زيد الا راكبا وفى قصر الحال

عليه ماجاء راكبا الا زيد ووجه القصر فى جميع ذلك ان التفريغ يستلزم تقدير مستثنى منه عام مناسب للمستثنى فى جنسه ونسبته الى العامل لعدم المخصص واستلزام الاخراج مايصح ان يخرج منه ثم يسرى الى ذلك المقدر ماقبله النفى فاذا وجب بعضه بالاجاء القصر وأمر انما كأمر الاستثناء الا فى جواز تأخير المقصور عن المقصور عليه للالباس ومن هذا يظهر الفرق بين انما يخشى الله من عباده العلماء وبين انما يخشى العلماء من العباد الله فان الاول فى انحصار خشية الله فى العلماء والثانى فى انحصار خشية العلماء فى كونها لله تعالى والله أعلم بالصواب

﴿ القسم الثانى من الكتاب فى علم البيان ﴾

وهو معرفة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة وبالنقصان ليحترز بذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه وايراد المعنى بهذه الطرق بالدلالات الوضعية غير ممكن وانما يمكن بالدلالات العقلية مثل ان يكون لشئ تعلق بآخر وثان وثالث فاذا أريد التوصل بواحد منها الى المتعلق به تفاوتت فى وضوح الدلالة أو خفائها بحسب تفاوتها فى وضوح التعلق وخفائه والدلالات العقلية ثلاث دلالة الشئ على جزئه ودلالة الملزوم على اللازم ودلالة اللازم المساوى على الملزوم ويعتبر فى اللزوم ان يكون مما يثبته العقل أو اعتقاد المخاطب لعرف أو غيره وكذا فى المساواة واقامة اللازم المساوى مقام الملزوم على وجه لاينافى الحقيقة كناية واقامة ماسواه مقام متعلقه مجاز وهو أقسام منها

الاستعارة وهى متوقفة على التشبيه فلنبدأ به فنقول ﴿ اعلم ﴾ ان التشبيه يستدعى طرفين واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر وانه لايصار اليه الا لغرض وان حاله تتفاوت فى القرب والبعد والتوسط والقبول والرد فليكن الكلام فيه أربعة أنواع (الاول) فى طرفى التشبيه ولا يخلو اما ان يكونا حسيين أو عقليين أو أحدهما حسيا والآخر عقليا كما فى تشبيه الخد بالورد والأطيط بصوت الفراريج والنكهة بالعنبر والريق بالخمر والجلد الناعم بالحرير وتشبيه العلم بالحياة والمنية بالسبع والعطر بخلق كريم ويلحق بالحسيات الخياليات وبالعقليات الوهميات والوجدانيات (النوع الثانى) فى وجه التشبيه الطرفان اما متفقان بالحقيقة مفترقان بالوصف واما بالعكس من ذلك والوصف إما حسى كالكيفيات الجسمانية مثل الالوان والاصوات والطعوم والحرارة والبرودة واما عقلى وهمى كما اذا قدرنا مع المنية صورة ثم شبهناها بالناب أو اضافى ككون الشئ مطلوب الوجود أوالعدم أو حقيقى كالكيفيات النفسانية مثل العلم والقدرة والسخاء ثم وجه التشبيه اما واحد أو غير واحد وهو اما فى حكم الواحد لكونه حقيقة ملتئمة أو أوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة واما غير ذلك فهذه ثلاثة أقسام *الاول اماحسى كما اذا شبهنا الخد بالورد فى الحمرة واما عقلى كما اذا شبهنا الصحابة بالنجوم فى الاهتداء المطلق والعلم بالحياة فى كونه جهة ادراك والنجوم بالسنن فى عدم الخفاء والعدل بالقسطاس فى تحصيل مابين الزيادة والنقصان *القسم الثانى اما حسى كما اذا شبهنا سقط الزند بعين الديك فى الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل والمقدار

والثريا بعنقود الكرم المنور فى الهيئة الحاصلة من مقارنة الصور البيض المستديرة الصغار فى المرأى على وضع مخصوص والشمس بالمرآة فى كف الاشل فى الهيئة الحاصلة من الاستدارة والاشراق والحركة المتصلة وشبه تموج الاشراق وكما فى قوله

كان مثار النقع فوق رؤسنا * واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

من تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة فى جوانب منه وقوله :

وكان اجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق

من تشبيه الهيئة الحاصلة من النجوم المتلألئة فى أديم السماء الصافى فى الزرقة بالهيئة الحاصلة المستطرفة من درر منثورة على بساط أزرق وأمثال ما ذكر من البيتين يسمى تشبيه المركب بالمركب والمذكور قبلهما يسمى تشبيه المفرد بالمفرد ومنه

كان قلوب الطير رطبا و يابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

او ما عقلى كما اذا شبهنا أعمال الكفرة بالسراب فى المنظر المطمع مع المخبر المؤيس والحسناء من منبت السوء بخضراء الدمن فى حسن المنظر المنضم الى سوء المخبر والتعرى عن اثمار الخير * القسم الثالث على ثلاثة أضرب الاول كما اذا شبهنا فاكهة باخرى فى لون وطعم ورائحة الثانى كما اذا شبهنا بعض الطيور بالغراب فى حدة النظر وكمال الحذر واخفاء السفاد الثالث كما اذا شبهنا انسانا بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن وعلو

المرتبة ﴿ النوع الثالث فى الغرض من التشبيه ﴾ الغرض منه فى الغالب اما بيان حال المشبه أو مقدار حاله أو امكان وجوده كما اذا فضلت انسانا على جنسه الى حد توهم اخراجه الى نوع أشرف فتراه كالممتنع فتقول هو كالمسك الذى هو دم الغزال ولا يعد فى الدماء لما فيه من الفضيلة واما تقريره فى نفس السامع كما اذا كنت مع من تقرر بانه لايحصل من سعيه على طائل فترقم على الماء قائلا اما انك فى سعيك هذا كرقمى على الماء واما تزيينه أو تشويهه كما اذا شبهت اسود بمقلة الظبى افراغا له فى قالب الحسن أو وجها مجدورا بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة اظهارا له فى صورة أشوه واما الاستطراف لكون المشبه نادر الحضور فى الذهن اما فى نفس الامر كما اذا شبهت الفحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه ذهب نقلا له عن صحة الوقوع الى امتناعه عادة ليستطرف واما مع حضور المشبه كحضور النار والكبريت مع البنفسج فى قوله

ولا زوردية تزهو بزرقتها * بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها * أوائل النار فى اطراف كبريت

وقد يكون الغرض من التشبيه بيان الاهتمام بالمشبه به كما اذا أشير لك الى وجه كالبدر أن شبهه فقلت كأنه الرغيف اظهارا لاهتمامك بشأن الرغيف أو ايهام ان المشبه به أتم فى وجه التشبيه من المشبه كما فى قوله

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما رأى ذوى الصياغة للمعانى شبهوا الهدى والسنن وكل ماهو علم بالنجوم وشبهوا البدع وكل ماهو جهل بالظلمة قصد فى تشبيهه هذا

تفضيل السفن فى الوضوح على النجوم وتنزيل البدع فى الاظلام فوق الدياجى وقوله

كان انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاء من البأساء بعد وقوع

فانه حين رأى العادة جارية ان يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذى ينحسر عنه الغمام قلب التشبيه ليرى ان صورة النجاء من البأساء لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب أعرف عند الانسان من صورة انتضاء البدر من تحت الغمام ومن الامثلة مايحكيه تعالى من قول مستحلى الربا انما البيع مثل الربا فى مقام انما الربا مثل البيع فى الحل ذهابا منهم الى جعل الربا فى باب الحل أقوى حالا وأعرف من البيع وقد يستوى الطرفان فى وجه التشبيه فيسمى تشابها و يصح فيه العكس فيقال صبح كغرة الفرس وغرة كالصبح واعلم ان التشبيه متى كان وجهه وصفا وهميا منتزعا من أمور خص باسم التمثيل كالذى فى قوله

اصبر على مضض الحسو * د فان صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها * ان لم تجد ماتاكله

فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التى لاتمد بالحطب ليس الا فيما يتوهم اذا لم يؤخذ معه فى المقاولة من منعه مايمد حياته وقوله

وان من أدبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء فى غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى أبصرت من يبسه

فتشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أوان الغرس انما هو فى المتوهم بما يلازم تأديبه فى وقته من كمال حاله وتمام الميل اليها وقوله تعالى مثل

الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فوجه تشبيه الاحبار الذين لم يعملوا بما كلفوا العمل به بالحمار الحامل للاسفار انما هو المتوهم من حرمانهم الانتفاع بما هو أبلغ نافع من التعب في استصحابه ومتى فشا استعمال التمثيل على سبيل الاستعارة سمى مثلا كقولهم الصيف ضيعت اللبن ومنه قول ابن ميادة

ألم أك في يمنى يديك جعلتني * فلا تجعلني بعدها في شمالكا

أي قد كنت عندك مكرما فلا تجعلني مهانا وقول بشار

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحدا أوصل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقول أبى تمام

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقول أبى العلاء

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ولورود الامثال على سبيل الاستعارة لا تغير وقد يسمى مثلا ما كان كالمثل في الحسن والاختصار والغرابة كقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

وقول أبى تمام

ولو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وقول المتنبي

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وقوله

ولو لم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

﴿ النوع الرابع ﴾ فى حال التشبيه من كونه بعيدا أو قريبا مقبولا أو مردودا من أسباب قرب التشبيه ونزول درجته ان يكون وجهه أمرا واحدا كما فى قولك هندي كالفحم وشهد كالثلج أو المشبه به مناسبا للمشبه كما اذا شبهت الجرة الصغيرة بالكوز أو العنبة الكبيرة بالاجاصة أو يكون غالب الحضور فى الذهن كما اذا شبهت الشعر الاسود بالليل والوجه الجميل بالبدر والمحبوب بالروح ومن أسباب بعده وغرابته ان يكون وجهه أمورا كثيرة أو المشبه به بعيد النسبة عن المشبه كالخنفساء عن الانسان عند تشبيهه بها فى اللجاج أو نادر الحضور فى الذهن لكونه أمرا وهميا كما فى قوله * ومسنونة زرق كانياب اغوال *

أو مركبا خياليا كما فى قوله

وكأن محمر الشقيـ * ـق اذا تصوب أو تصعد

اعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

أو مركبا عقليا كما فى قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الآية ومن أسباب قبول التشبيه ان يكون صحيحا لا كما فى قول ديك الجن

وعاذلة غدت كالسيف تكرى * ضلوعى باللحا واللوم كيا

وان لايخلو عن أحد أمرين الاول ان يكون غير مبتذل وافيا بما علق به من الغرض مثل ان يكون المشبه به اما أعرف شئ بأمر حسى والغرض بيان حال المشبه أو مقدار حاله فالنفس الى الاعرف عندها أميل لاسيما فيما إلفها به أكمل لكن يجب فى الثانى استواء الطرفين فى وجه التشبيه واما أتم محسوس فى أمر حسى هو وجه التشبيه والغرض تقرير المشبه فى نفس السامع أو تنزيل الناقص منزلة الكامل كما اذا شبهت القمر بوجه حسن واما مسلم الحكم معروفه فيما يقصد من وجه التشبيه والغرض بيان امكان الوجود أو محاولة التزيين أو التشويه واما نادر الحضور فى نفسه أو مع المشبه والغرض الاستطراف والنفس تسارع الى نادر تتطلع اليه الثانى ان يشتمل اما على تشبيه شئ بشيئين كقول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك إسحل

أو بثلاثة كقول البحترى

كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو اقاح

أو بأربعة كقول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها * اذا غرد الطائر المستحر

أو بخمسة كقول الحريرى

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

واما على تشبيه شيئين بشيئين كقوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

أو ثلاثة بثلاثة كقول الآخر

ليل وبدر وغصن * شعر ووجه وقد

خمر ودر وورد * ريق وثغر وخد

أو أربعة بأربعة كقوله

له ايطلا ظبي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

وكقول أبي نواس وهو مما يلحق به

يبكي فيذرى الدر من نرجس * ويمسح الورد بعناب

أو خمسة بخمسة كقول الواوا الدمشقي

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومتى تفطنت لاسباب قبول التشبيه تفطنت لاسباب رده واعلم انه ليس بواجب التصريح فى التشبيه بكلمته ولا بلفظ المشبه بل الواجب اذا ترك ان لايكون مضمرا وبا عنه صفحا مثله اذا قلت عندى أسد فانه استعارة بخلاف رأيت بفلان أسدا وما هو انسان بل أسد واذا أردت أسدا فمليك به فانها تشبيهات لافرق بينها الا فى شأن المبالغة والخيط الابيض والخيط الاسود فى قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من التشبيه لا الاستعارة لبيانهما بقوله من الفجر وأعلى مراتب التشبيه ترك وجهه واداته ثم ترك أحدهما ثم ذكرهما وقد ينتزع الشبه من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه ثم ينزل منزلة التماثل بواسطة التمليح أو التهكم فيقال للجبان ماأشبهه بالاسد وللبخيل هو حاتم ثان ﴿ القول فى المجاز ﴾ ويتوقف على التعرض للحقيقة فنقول ﴿ الحقيقة ﴾ هى الكلمة

المستعملة من غير تأويل فيما يدل عليه بالوضع وقولى من غير تأويل احتراز
من الاستعارة فانها مستعملة فيما وضعت له على الاصح لبناء دعوى المستعار
موضوعا للمستعار له على ضرب من التأويل والمراد بالوضع تعيين الكلمة
بازاء معنى وتنقسم الحقيقة الى لغوية وعرفية وشرعية وهى فعيل بمعنى
فاعل من حق الشئ وجب أو بمعنى مفعول من حققت الشئ أى أثبته
والتاء على هذا لغلبة الاسمية ﴿ واما المجاز ﴾ فهو الكلمة المستعملة فى
غير ماهى موضوعة له بالتحقيق الوضع المصطلح عليه مع قرينة مانعة من
ارادة معناها فيه فاحترزت بقولى بالتحقيق من خروج الاستعارة و بقولى
الوضع المصطلح عليه من خروج ماهو حقيقة فى وضع آخر كما اذا
استعمل صاحب اللغة الغائط فيما يفضل من منهضم الغذاء أوصاحب العرف
الدابة لغير الحمار أو صاحب الحقيقة الشرعية الصلاة للدعاء واحترزت
بقولى مع قرينة مانعة من ارادة معناها فيه من الكناية فانه يراد بها
المكنى عنه فهى مستعملة فى غير ماوضعت له وليست مجازا لعرائها عن هذا
القيد والمجاز مفعل من جزت المكان أى تعديته وهو عند علماء هذا
الفن نوعان لغوى وهو ماسبق حده وعقلى وسيأتى ذكره واللغوى أربعة
أضرب (الضرب الاول) المجاز الراجع الى معنى الكلمة الخالى عن
الفائدة وهو ماعدى عن الدلالة على حقيقة بقيد الى الدلالة عليها بدونه
لقرينة كقول العجاج * وفاحما ومرسنا مسرجا * وقول الآخر
* ولكن زنجى عظيم المشافر * (الضرب الثانى) المجاز الراجع الى
معنى الكلمة المفيد الخالى عن المبالغة فى التشبيه وهو ماعدى بالقرينة

عن مفهومه الاصلى الى غيره لملاحظة بينهما ونوع تعلق كاليد اذا أريدبها النعمة والقدرة لتعلقها بما وضعت له من حيث كانت النعمة تصدر من اليد والقدرة أكثر ماتظهر فيها وكالغيث اذا أريد به النبات لكون الغيث سببا لرعيه وكالنبات اذا أريد به الغيث لكونه سببا فيه أو السنام كقول من قال أسنمة الآبال فى سحابه ومن هذا يعرف وجه من فسر وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج بانزال المطر ومن الامثلة فاتقوا النار أى العناد المستلزم للنار ومنها فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله المعنى فاذا أردت القراءة ثم أقيم المسبب مقام سببه لقرينة الفاء فى فاستعذ بالله والسنة مستفيضة بتقديم الاستعاذة ومنها وحرام على قرية أهلكناها أى أردنا أهلاكها لقرينة انهم لايرجعون أى عن معاصيهم للخذلان ومنها أى الفريقين خير مقاما أى أى الفريقين أبلغ فى خير مقامه من الآخر فى ثمره ثم أقيم المتعلق مقام متعلقه لاستلزامه اياه على حد قولهم العسل أحلى من الخل ومنه قوله * يأكلن كل ليلة اكافا * أى علفا بثمن اكاف فأقامه مقام العلف لما بينهما من التعلق ومنها قولهم لربيئة القوم عين حيث كانت هى المقصودة منه وكأنها الشخص كله ومنها أمثلة الاستثناء لانه ان كان متصلا فالمستثنى منه مستعمل فى بعض ماوضع له لقرينة الاستثناء وان كان منقطعا فالمسوغ له اما دعوى دخوله فى حقيقة المستثنى منه بضرب من التأويل واما نقل اداة الاستثناء إلى معنى الاستدراك قال الله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس على التغليب ومثله

مالهم به من علم الا اتباع الظن وقال يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم على تقديرالا سلامة من أتى الله بقلب سليم وتنزيل السلامة منزلة المال والبنين على حد قوله

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

هذا ان لم يحمل الاستثناء على التفريغ وقال الراجز

وبلدة ليس بها انيس * الا اليعافير والا العيس

أي ان كان العيس انيسا ليس أنيسها الا اياها وقال النابغة

عيت جوابا وما بالربع من أحد * الا أوارى لاياما أبينها

على معنى ان كان الاوارى أحدا فلا أحد بها الا هو (الضرب الثالث) المجاز الراجع الى معنى الكلمة المفيد المبالغة فى التشبيه ويسمى الاستعارة وهى ان تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد الآخر مدعيادخول المشبه فى جنس المشبه به مع سد طريق التشبيه ونصب القرينة ولهذا سميت استعارة فان الشجاع حال دعوى كونه فردا من افراد حقيقة الاسد يكتسى اسمها اكتساء الهيكل المخصوص اياه وهكذا العارية فان المستعير فيها كالمعير لايتفاوتان الابأن أحدهما مالك والآخر ليس كذلك والاستعارة من المجاز اللغوى لاستعمال اللفظ فى غير ماوضع له فان ادعاء كون الشجاع أسدا لايتجاوز حديث كال الشجاعة وليس الاسد موضوعا لها اذ لو كان موضوعا لها لكان صفة لااسما ولكان استعماله فيمن هو على غاية من البطش والجرأة ليس من باب التشبيه فيضرب بعرق فى المجاز وقيل هى من المجاز العقلى لان كونها من المجاز اللغوى يستدعى استعمال اللفظ فى

غير موضوعه الاول وذلك يقدح فى الدعوى والاصرار على ان الشجاع من افراد الاسود وان الكامل الصباحة شمس أو قمر وان يكون موضع تعجب قوله

قامت تظللنى من الشمس * نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب * شمس تظللنى من الشمس

أو موضع نهى عن التعجب قوله

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

وقوله

ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر ان تبلى معاجرها * والبدر فى كل وقت طالع فيها

(واعلم) ان الاستعارة من حيث هى مصرح بها أو مكنى عنها تحقيقية أو تخييلية أصلية أو تبعية مجردة أو مرشحة على سبعة أقسام (الاول) الاستعارة المصرح بها التحقيقية وهى ان تذكر مشبها به فى موضع مشبه محقق بالقيد المذكور كما اذا أردت ان تلحق شجاعا بالاسد فى شدة البطش وكمال الاقدام فقلت رأيت أسدا يتكلم أو عالما لكثرة فوائده بالبحر فى كثرة فرائده فقلت كلمت بحرا على سرير أو عدل عادل بالميزان فى إباء التفاوت فقلت ميزان أميرنا لا يقبل التفاوت أو تردد من استفتى فيهم بالجواب تارة ويمسك أخرى بتردد من قام لامر فيريد الذهاب تارة فيقدم رجلا ولا يريده تارة فيؤخر أخرى فقلت أراك أيها المفتى تقدم رجلا وتؤخر أخرى ومن الامثلة استعارة اسم أحد الضدين للآخر

بواسطة تنزيل التضاد منزلة التناسب كما اذا قلت تواترت على فلان البشارات بعزله ونهب أمواله وقتل أولاده وقد تكون قرينة الاستعارة معنى واحدا كما رأيت وقد تكون قرينة الاستعارة معانى متآخذة كالتى فى قوله

وصاعقة من نصله ينكفى بها * على أرؤس الاقران خمس سحائب

فانه لما استعار السحائب لانامل الممدوح ذكر ان هناك صاعقة من نصل سيفه ثم قال على أرؤس الاقران ثم قال خمس سحائب فذكر أنامل اليد وجعل ذلك كله قرينة على ماأراد (القسم الثانى) الاستعارة المصرح بها التخييلية وهى ان تذكر مشبها به فى موضع مشبه وهمى مقدرا مشابهته للمذكور كما اذا شبهت المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا بقيا على ذى فضيلة ولا مرحوم فيأخذ الوهم فى تصويرها بصورة السبع ويخترع لها ماله من جوارح ثم تطلق عليه اسمها قائلا انياب المنية أو مخالب المنية الشبيهة بالسبع قد نشبت بفلان أو كما اذا شبهت الحال الدالة على أمر بالمتكلم فيخترع الوهم للحال ماقوام الكلام به ثم تطلق اسمه عليه قائلا لسان الحال الشبيهة بالمتكلم ناطق بكذا أو كما اذا شبهت حكما دائرا مع مشيئة امرئ بالناقة المنقادة لمستتبعها فيثبت له الوهم ماقوام الانقياد به ثم تطلق اسمه عليه قائلا زمام الحكم الشبيه بالناقة فى يد فلان وقد تكون الاستعارة المصرح بها محتملة للتحقيق والتخييل كما فى قول زهير

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله * وعرى افراس الصبا ورواحله

فانه لما عرف انه أمسك عما كان عليه أو ان الصبا من سلوك سبيل الغى وركوب مركب الجهل قال عرى افراس الصبا ورواحله على التخييل بطريق تشبيه الصبا فى قوة الداعية معه الى اتباع الهوى بالانسان القادر على تصريفك فيما يريد ثم أخذ الوهم فى تصويره بصورة ذلك الانسان واختراع ماله من الادوات وأطلق اسمها عليه ويحتمل ان يكون على التحقيق بطريق جعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعى النفوس والقوى والاسباب التى قلما تتأخذ فى اتباع الغى الا أوان الصبا وهكذا قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة المعنى الن لهما جانبك وتواضع لهما ولفظ الجناح استعارة على التخييل بطريق المبالغة فى طلب ان يكون الولد لابويه كالطائر لفرخه فى فرط حنوه عليه فجعل طائرا على التشبيه ثم أخذ الوهم يصور له ماللمشبه به من الآلات والجوارح وأضاف اسمه الى الذل على الوصف بالمصدر أو غيره رعاية لمزيد البيان ويجوز ان يكون على التحقيق بطريق المبالغة فى طلب ان يكون جانب المرء لابويه كالجناح فى تواضعه وتبذله وسهولة التصاقه بالتراب فعبر به عنه وقوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فالظاهر من اللباس الحمل على التخييل ويحتمل الحمل على التحقيق بان يستعار لما يكتسيه الانسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة (القسم الثالث) الاستعارة بالكناية وهى ان تذكر المشبه وتريد المشبه به وتدل بمثل شئ من لوازمه الى المشبه مثل ان تشبه المنية بالسبع ثم تفردها بالذكر مضيفا اليها الانياب أو المخالب قائلا انياب المنية قد نشبت بفلان ونحوه لسان الحال

ناطق بكذا وزمام الحكم بيد فلان وقول لبيد
* اذ أصبحت بيد الشمال زمامها * (القسم الرابع) الاستعارة الاصلية
وهي ان يكون المستعار اسم جنس فيكون المستعار له كذلك ووجه كونها
أصلية ان الاستعارة مبناها على التشبيه وهو وصف المشبه بمشاركته المشبه
به في أمر والاصل فيما يوصف الحقائق نحو جسم أبيض وبياض صاف
وكذا فيما يشبه به لكونه مضافا اليه (القسم الخامس) الاستعارة التبعية
وهي مايقع في الافعال والصفات والحروف فانها لاتوصف فلا تحتمل
الاستعارة بانفسها وانما المحتمل لها في الافعال والصفات مصادرها وفي
الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسري في هذه الاشياء
فلا تقول نطقت الحال وهي ناطقة بكذا الا بعد تقرير استعارة النطق
لدلالة الحال ولا سال بزيد الوادي وطارت به العنقاء الا بعد تقرير
استعارة سيلان الوادي به لهلاكه وطيران العنقاء به لطول غيبته وقوله
تعالى فبشرهم بعذاب أليم بدل انذرهم من الاستعارة التهكمية على هذا
الاسلوب ومثله إنك لانت الحليم الرشيد بدل السفيه الغوي وهكذا
الحروف فما جاءت لعل في مثل واتقوا الله لعلكم تفلحون الا بعد
مااستعير الترجي لارادة الطاعة الخفي عنا سببها دون المضية من العبد
المكن منهما ثم استعير لجانب المشبه لعل اعتمادا على القرينة ولا لام الجر
في نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا الا بعد مااستعير ترتب
المعلول على العلة لترتب العداوة والحزن على الالتقاط في الواقع ثم استعير
لجانب المشبه اللام وخلق ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ان يعد

فى الاستعارة التهكمية من هذا القبيل ثم القرينة فى هذا القسم قد تكون من جهة النسبة الى الفاعل أو المجرور أو المفعول كما فى قوله
* فقتل البخل وأحيا السماحا * وقد اجتمعت فى قوله
تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة * اذ اسرى النوم فى الاجفان ايقاظا
(القسم السادس) فى تجريد الاستعارة وهو ان تقرن بما يلائم المستعار له كقولك ساورت أسدا شاكى السلاح طويل القناة وجاورت بحرا ماأجمعه للحقائق وأوقفه على الدقائق ومثله قوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف لانه روعى جانب المشبه به فاستعيرت الاذاقة لابتلائهم بالنوائب لان الذوق وان لم يكن كالكسوة فى الملاءمة فهو أحسن فى البيان لكونه أقوى حالا وأعرف بشدة الادراك من الملبس لاشتماله على الاحساس بالكيفيات الجسمانية من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والملاسة والخشونة وما بينها ومن أنواع الطعوم فناسب ان يستعار لاحساسهم بشدة ما نالهم فان قلت لم لم يقل فاذاقها الله طعم الجوع والخوف قلت لان الطعم وان لاءم الاذاقة فهو مفوت لبيان ان الجوع والخوف قد عم اثرهما جميع البدن عموم الملابس حتى كأنهما من أصنافها بخلاف لفظ اللباس فلذلك كان أولى بالذكر (القسم السابع) فى ترشيح الاستعارة وهو ان تقول بما يلائم المستعار منه كقولك ساورت أسدا وافى البراثن منكر الزئير وجاورت بحرا لايغيض ماؤه ولا يدرك انتهاؤه ومثله قول زهير

لدى اسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

وقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
ومبنى الترشيح على تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهم تعاطيه حتى
لاتبالى ان تدعى للمستعار له لوازم المستعار منه المساوية فتبنى على علو
المرتبة وسمو القدر ماتبنيه على العلو المكانى قال أبو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة فى السماء

وقال ابن الرومى

اعلم الناس بالنجوم بنونو * بخت علما لم يأتهم بالحساب
بل بان شاهدوا السماء سموا * بترقى فى المكرمات الصعاب
مبلغ لم يكن ليدركه الطا * لب الا بتلكم الاسباب

واذا كانوا مع الاعتراف بالاصل يسوغون ان يبنوا على الفرع كما فى قوله

هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الطلو * ع ولن تستطيع اليك النزولا

فهم الى تسويغ ذلك مع جحد الاصل أقرب (واعلم) ان الاستعارة
من حيث هى مبنية على التشبيه لاتزيد على خمسة أقسام لان الجامع بين
طرفيها اما حسى وطرفاه حسيان واما عقلى وطرفاه حسيان أو عقليان أو
المستعار حسى والمستعار له عقلى أو بالعكس فالاول كقوله واشتعل
الرأس شيبا لان الجامع بين اشتعال النار وانتشار الشيب هو انبساط
البياض والثانى كقوله تعالى اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم لان الجامع
بين الطرفين فيه هو المنع من ظهور النتيجة وقوله وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار فان الجامع فيه بين ظهور المسلوخ من جلدته وبين ظهور

الليل من ضوء النهار هو كمال الانفصال وقوله حصيد اخا مدبن فالجامع بين خمود النار وسكون الهالكين هو الاخذ فى التلاشى والثالث كقوله تعالى من بعثنا من مرقدنا الطرفان الموت والرقاد والجامع عدم الفعل وقوله وقدمنا الى ماعملوا من عمل استعير فيه قدوم المسافر بعد مهلة للجزاء بعد الامهال والجامع وقوع المدة فى البين وقوله تكاد تميز من الغيظ استعير فيه الغيظ من الحالة الوجدانية الداعية الى الانتقام للحال المتوهمة من النار أعاذنا الله منها والجامع مزيد الايلام والرابع كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه أصل القذف والدمغ للاجسام ثم استعير لايراد الحق على الباطل وذهابه به والجامع هو الاعدام وقوله وزلزلوا أصل الزلزلة التحريك العنيف ثم استعير لشدة مانالهم وقوله فاصدع بما تؤمر الصدع شق الزجاجة ونحوها ثم استعير لتبليغ الرسالة ببذل الامكان والخامس كقوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية استعير فيه الطغيان من التكبر لكثرة الماء لما يشتركان فيه من الاستعلاء المفرط وقوله فنبذوه وراء ظهورهم استعير فيه القاء الشئ وراء الظهر للتعرض للغفلة والجامع اشتراكهما فى الزوال عن المشاهدة واعلم ان شرط حسن الاستعارة وقبولها هو رعاية جهات حسن التشبيه وان لا تشم رائحة من جانب اللفظ وان يكون المشبه به فى الاستعارة التحقيقية جليا بنفسه أو دائرا فى العرف والا دخلت الاستعارة فى باب التعمية والالغاز كما لو قلت رأيت ابلا مائة لا تجد فيها راحلة وأردت الناس وكذا فى الاستعارة التخييلية ولهذا عابوا على أبي تمام قوله

لا تسقني ماء الملام فانني * صب قد استعذبت ماء بكائي

وانما تحسن هذه الاستعارة الحسن البليغ اذا انضم فيها الى كونها بالكناية المشاكلة كقوله تعالى يد الله فوق أيديهم (الضرب الرابع) المجاز الراجع الى حكم الكلمة فى الكلام وهو ان تعدى الكلمة عن اعرابها الى غيره لزيادة كما فى قوله ليس كمثله شئ وكفى بالله شهيدا وهل من خالق غير الله أو حذف كما فى قوله وجاء ربك واسأل القرية وهذا يشبه المجاز فى تعديه عن أصله فلذلك ألحق به وان لم يشمله الحد (الضرب الخامس) المجاز العقلى وهو الكلام المزال اسناده عما هو له عند المتكلم الى غيره بضرب من التأويل والمراد بما الاسناد له عند المتكلم مايعتقد قيام الفعل به أو صدوره عنه ولم أقل عند العقل لانا لم نرهم يحملون نحو

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ * ـر كر الغداة ومر العشى

على المجاز مالم يعلموا أو يظنوا صدوره عن غير جهل أو ماترى كيف استدلوا على ان اسناد ميز الى الجذب فى قوله

قد أصبحت أم الخيار تدعى * على ذنبا كله لم أصنع

من ان رأت رأسى كرأس الاصلع * ميز عنه قنزعا عن قنزع

* جذب الليالى أبطئى أو أسرعى * مجاز بان أتبعه قوله

أفناه قيل الله للشمس اطلعى * حتى اذا واراك أفق فارجعى

الشاهد لنزاهته أن يريد الظاهر وقولى بضرب من التأويل مخرج للكذب وسمى هذا الضرب مجازا عقليا لتعدى الحكم فيه عن مكانه

الاصلى من غير تغيير للوضع وهو على ثلاثة أقسام (الاول) ماطرفاه حقيقتان نحو أنبت الربيع البقل وهزم الامير الجند وشفى الطبيب المريض وقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وقوله وأخرجت الارض أثقالها (الثانى) ماطرفاه مجازان نحو أحيا البقل شباب الزمان وقوله تعالى فما ربحت تجارتهم (الثالث) ماأحد طرفيه مجازى دون الآخر نحو انبت البقل شباب الزمان وعكسه أحيا البقل الربيع ومثله تؤتى أكلها كل حين وقوله حتى تضع الحرب أوزارها ومن شرط هذا المجاز ان يكون للمسند اليه شبه بالمتروك فى تعلقه بالعامل

﴿ القول فى الكناية ﴾

وهى ترك التصريح بالشيء الى مساويه فى اللزوم لينتقل منه الى الملزوم كما تقول فلان طويل النجاد لينتقل منه الى طول القامة وفلانة نؤم الضحى لينتقل منه الى كونها مخدومة غير محتاجة الى اصلاح المهمات بنفسها وسميت كناية لاخفائها وجه التصريح يقال كنى عن الشيء اذا لم يصرح به ومنه الكنى فى الاعلام ولا يترك التصريح بالشيء الى الكناية عنه فى بليغ الكلام الا لتوخى نكتة كالايضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله أو القصد الى المدح أو الذم أو الاختصار أو الستر أو الصيانة أو التعمية والالغاز أو التعبير عن الصعب بالسهل أو عن الفاحش بالطاهر أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن كما فى قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله كانا يأكلان الطعام وقوله ولكن لا تواعدوهن سرا ولا تخرج الكناية عن ثلاثة أقسام (الاول) الكناية المطلوب بها نفس

الموصوف وهى اما قريبة لكون الوصف بسيطا كقولك جاء الضياف وتريد زيدا لعارض اختصاص المضياف به ومثله قوله عليه السلام أكثروا ذكر هاذم اللذات وهو الموت واما بعيدة لكون الوصف مركبا كقولك فى رسم الانسان حيوان مستوى القامة عريض الاظفار ومنه قول أبى نواس

اذا أنت أنكحت الكريمة كفأها * فانكح حبيشا راحة ابنة ساعد

وقل بالرفا مانلت من وصل حرة * لها ساعد حفت بخمس ولائد

(القسم الثانى) الكناية المطلوب بها نفس الصفة ويسمى الارداف وهى أيضا اما قريبة لكون الانتقال الى المطلوب من أقرب لوازمه واما بعيدة لكون الانتقال اليه من أبعد لوازمه ثم القريبة تنقسم الى واضحة كقولك فلان كثير الاضياف ومثله قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

وقول شاعر الحماسة

أبت الروادف والثدى لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا

واذا الرياح مع المشى تناوحت * نبهن حاسدة وهجن غيورا

بما يظهرنه من محاسنها واختار وقت المشى لانه الوقت الذى يتخلى فيه النساء من الاشغال و يبرزن للمهن و يتندى فيه الرجال للحديث ليتم ماأراد من اجتماع الحاسدة والغيور وقول بعض المغاربة

رشا يرنو بنرجسة و يعطو * بسوسان ويبسم عن أقاح

يشير الى قرطاه وتصغى * خلاخله الى نغم الوشاح

والى خفية كقولهم عريض القفا للأبله وقوله عريض الوساد كناية عن

هـذه الـكناية وكقول بعضـهم يهجو من به داء الاسـد ويرمى أمه بالفجور

أخو لحم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد

يعنى الجذام

أراد أبوك أمك يوم زفت * فلم توجد لأمك بنت سعد

يعنى عذرة واما البعيدة فنحو فلان كثير الرماد لانك تنتقل فيها من كثرة الرماد الى كثرة الجمر ثم الى كثرة الاحراق تحت القـدور ثم الى كثرة الطبائخ ثم الى كثرة الاكلة ثم الى كثرة الاضـياف ثم الى كونه مضيافا وكقوله

وما يك فى من عيب فانى * جبان الـكلب مهزول الفصيل

فانك تنتقل من جبن الـكلب عن الهرير فى وجه من لا يعرف الى استمرار تأديب الـكلب ثم الى اتصال مشاهدة وجوه أثر وجوه ثم الى كون القائل مقصد أدان وأقاص ثم الى كونه مضيافا وهكذا هزال الفصيل فانك تنتقل منـه الى فقـد الام ثم الى صرفها الى الطبائخ ثم الى قرى الاضـياف وكقول الآخر

تراه اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

وقول ابن هرمة

لا أمتع العوذ بالفصال ولا * ابتاع الا قريبة الأجل

أى لا أبقى الفصـال للعوذ تستأنس بالنظر لهـا وتسر بمشاهـدة حركتها لديهـا أو لا أبقى العوذ ابقاء على فصالهـا بل انحرها وان أودت الفصـال

(القسم الثالث) الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف ومنها لطيف كقولهم المجد بين برديه والكرم بين ثوبيه وكقول زياد

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فانه جمع المروءة والسماحة والندى فى قبة فنبه على ان محلها ذو قبة ثم ضربها عليه ابتغاء اختصاصها به ومنها ألطف كقول الآخر

والمجد يدعو أن يدوم لجيده * عقد مساعى ابن العميد نظامه

حيث أثبت لابن العميد مساعى وجعلها نظام عقد مناطه جيد المجد فنبه بذلك على اعتناء ابن العميد فى تزيين المجد وعلى اعتنائه بشأن المجد ومحبته له ثم على انه ماجد وجعل جنس المجد داعيا بدوام ذلك العقد لجيده تنبيها على طلب المجد دوام بقاء ابن العميد ثم على اختصاصها بتزيين المجد وكقول الشنفرى

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها * اذا مابيوت بالملامة حلت

وقول ابن هانئ

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

واذ قد وقفت على أقسام الكناية فاعلم ان لها أسماء بحسب اعتبارات فمتى كان اختصاصها بالمكنى عنه عارضا سميت تعريضا كقول الحماسى فى بنى العجلان

قبيلته لايغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء الاعشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل

وقول أبى نواس

فأعرض هيثم لما رآني * كأني قد هجوت الادعياء

فعرض بكون هيثم دعيا ثم تهكم به فقال

فقد آليت لاأهجو دعيا * ولو بلغت مروءته السماء

ومتى لم يكن كذلك وكانت بعيدة سميت تلويحا كقوله

تقاعس حتى قلت ليس بمنجل * وليس الذى يرعى النجوم بآئب

أقام الصبح مقام الراعى الذى يذهب بالماشية ويجىء ثلوح باستمرار الليل تلويحا عجبا فى الجودة وان كانت الكناية قريبة فان كانت خفية سميت رمزا كقوله يصف امرأة قتل زوجها

عقلت لها من زوجها عدد الحصى * مع الصبح أو مع جنح كل أصيل

وكقول النابغة

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام سراع وارد الثمد

يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا أو نصفه فقد

فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

فرمز عدة مارأته الزرقاء هو ست وستون حمامة وان كانت جلية سميت ايماء واشارة كقول أبى تمام

أبين فما يزرن سوى كريم * وحسبك ان يزرن أبا سعيد

وقول الآخر

اذا الله لم يسق الا الكرام * فسقى وجوه بنى حنبل

وسقى ديارهم باكرا * من الغيث فى الزمن الأمحل

وقال الآخر

سألت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما ذلا بعز مؤبد
ومابال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما عند موته * فقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

فانهما فى افادة كرم أبى سعيد وكرم بنى حنبل وجود محمد على غاية من الظهور (واعلم) ان أرباب البلاغة مطبقون على ان الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وان المجاز أبلغ من الحقيقة وان الكناية أوقع فى النفس من التصريح فان الاستعارة نوع من المجاز وفى المجاز والكناية دعوى الشئ ببينة وهو ذكر مالا ينفك عنه بخلاف الحقيقة والتصريح وفرق بين دعوى الشئ ببينة ودعواه بدونها والله أعلم

﴿ القسم الثالث من الكتاب فى علم البديع ﴾

وهو معرفة توابع الفصاحة فلا بد للخوض فيه من تقديم ذكرها فنقول (الفصاحة) هى صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الافهام لمعناه وتبيين المراد منه وهى نوعان معنوية ولفظية فالفصاحة المعنوية خلو الكلام عن التعسف والتعقيد بحيث يكون طريقه الى المعنى واضحة على وفق مقتضى الظاهر أو ما فيها من معاطف فقد نصب عليه المنار وأوقد فيها الانوار ولم يخف مسلك المعنى حتى لايدرى من أين اليه يتوصل ولا بأى شئ على معناه يتحصل كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

وقول أبي تمـام

ثانيه في كبد السماء ولم يكن * كاثنين ثان اذ هما في الغار

وأما الفصاحـةاللفظية فان تكون الـكلمة عربية جارية على القياس سالمة عن التنـافر والابتذال دائرة على الالسن لامما أخطأت فيـه العامة ولا ممـا احـدث المولدون فان الـكلمة متى لم تكن كذلك ربمـا مجها السمع ونبا عن قبولهـا الطبع وقلت عناية السامع بالـكلام فلم يحصـل على ماله من الافهام وقد ظهر من هذا ان لابد في تـكميل الفصاحة من ابانة المعنى باللفظ المختار وهي من متممات البلاغة وممـا يكسو الـكلام حلة التزيين ويرقيـه أعلى درجات التحسـين ويتفرع منها وجوه كثيرة يصار اليها في باب تحسين الـكلام فلنتعرض لذكر الاهم منها في ثلاثة فصول لانها اما راجعة الى الفصاحة اللفظية واما راجعة الى المعنوية والراجعة الى المعنوية اما مختصـة بالافهام والتبيين واما مختصة بالتزيين والتحسين ﴿ الفصـل الاول ﴾ فيما يرجع الى الفصاحـة اللفظيـة وهو أربعـة وعشرون نوعا (الترديد) ان تعلق الـكلمة في المصراع أو مثله نثرا بمعنى ثم تعلقها فيـه بمعنى آخر كقوله تعالى حتى نؤتى مثل ماأوتى رسـل الله الله أعلم وقول أبي نواس

صفراءلاتنزلالاحزان ساحتها * لو مسهاحجر مسته سراء

وقد يجتمع في البيت ترديدان اما متفقان كقوله

يريك في الروع بدرا لاح في غسق * في ليث عريسة في صورة الرجل

واما مختلفان كقول الآخر

قل لمن ساد ثم ساد أبوه * قبله ثم قبل ذلك جده

ومنه

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا * ضارب حتى اذا ضاربوا اعتنقا

وربما اجتمعا فى مصراع كقوله

ليس ماليس به بأس باس * ولا يضر المرء ماقال الناس

(التعطيف) ان تعلق الكلمة فى موضع من الصدر بمعنى ثم تعلقها فيما سوى الضرب من العجز بمعنى آخر كقول الشاعر

اذا مانهى الناهى فلج بى الهوى * أصاخ الى الواشى فلج بى الهجر

كان الكلمتين على عطفى البيت ومنه قول المتنبي

فساق الى العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

وقد أبدع بما فيه من التعطيفات مع حسن الائتلاف حيث جمع بين العرف وعدم التكدير و بين المدح وعدم التذميم (رد العجز على الصدر) ان تعلق الكلمة فى موضع من صدر البيت أو فقرة الكلمة بمعنى ثم تعلق فى آخر العجز مثلا لها بمعنى آخر وهو تسعة أقسام لان الكلمتين لابد ان يتفقا اما فى نفس المعنى واللفظ واما فى أصل المعنى والاشتقاق واما فى أصل الاشتقاق دون المعنى مع كون الاولى منهما واقعة اما فى أول الصدر واما فى آخره واما بينهما فالاول كقوله

سريع الى ابن العم يشتم عرضه * وليس الى داعى التدى بسريع

والثانى كقول أبى تمام

وجوه لوان الارض فيها كواكب * توقد للساوى لكانت كواكبا

والثالث كقول الشاعر

سقى الرمل جون مستهل ربابه * وما ذاك الاحب من حل بالرمل

والرابع كقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا والخامس كقوله تعالى أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا والسادس كقول الشاعر

وما ان شبت من كبر ولكن * لقيت من الاحبة ماأشابا

والسابع كقوله

ذوائب سود كالمناقيد أرسلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب

والثامن كقوله

لعمرى لقد كان الثريا مكانه * ثراء فاضحى اليوم مثواه فى الثرى

والتاسع كقوله

لقد فاق فى العدل البرية كلها * فليس له فى الخافقين عديل

(التشطير) ان يكون كل من شطرى البيت سجعتين مخالفتين لاختيهما ومن أحسن ماجاء منه قول أبى تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتقب

لتعلق التعطيف والترديد فيه بالتشطير (الترصيع) ان يكون الاول من الفقرتين أو شطرى البيت مؤلفا من كلمات مختلفة والثانى منهما مؤلفا من مثلها فى الوزن والترتيب والتقفية لما سوى العروض كقول الخطيب رحمه الله الحمد لله عاقد أزمة الامور بعزائم أمره وحاصد أئمة الغرور بقواضب مكره وموفق عبيده لمغانم ذكره ومحقق مواعيده بلوازم شكره

وكقول الشاعر

وزند ندى فواضله ورى * وزند ربى فضائله نضير

(التسجيع) ان يكون مقاطع شطر الاجزاء على سجع موافق للروى ومقاطع شطرها الآخر متداخلة للموافقة مسجوعة وغير مسجوعة فالاول كقول ديك الجن

حر الاهاب وسيمه * بر الاياب كريمه * محض النصاب صميمه

والثانى كقول أبى تمام

تجلى به رشدى واثرت به يدى * وفاض به ثمدى وأورى به زندى

وقوله

وكم نظرة بين السجوف كايلة * ومحتضن شخت ومبتسم برد
ومن فاحم جعد ومن كفل نهد * ومن قمر سعد ومن نائل ثمد
محاسن مازالت مساو من النوى * تغطى عليها أو مساو من الصد

(التجزئة) ان تأتى مقاطع أجزاء البيت على سجعين متداخلين وأولهما مخالف للروى والثانى على وفقه كقوله

هندية لحظاتها * خطية خطراتها * دارية نفحاتها

(التسميط) ان تأتى باجزاء البيت أو بعضها على سجع واحد مخالف القافية حتى يكون تسميط العقد والاجزاء المسجوعة بمنزلة الحب المجتمع فيه وهو ضربان (الاول) تسميط التقطيع ومنه ماأجزاؤه مختلفة كقوله

واسمر مثمر من مزمر نضر * من مقمر مسفر عن منظر حسن

ومنه ماأجزاؤه متساوية ويختص باسم الموازنة كقوله

أفاد فساد وقاد فذاد * وشاد فجاد وعاد فأفضل

(الضرب الثانى) تسميط التبعيض ومنه ماسجعه على المقاطع كقوله

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

ومنه ماسجعه مدمج كقول الخنساء

حامى الحقيقة محمود الخليقة ميـمون الطليعة نفـاع وضرار

جواز قاصية جزاز ناصية * عقاد ألوية للخيـل جرار

(المماثلة) ان يتعدد أو يوجد فى البيت أو نحوه مماثلة فى الوزن والتقفية أو فى الوزن فقط بين كلمتين متلاقيتين أومتوازيتين ومن أمثلته قوله تعالى وربك أعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا وقول الشاعر

معتقة مصفقة عقار * شآمية اذا مزجت مروح

وأحسن منه قول أبى تمام

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل

وقول البحترى

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

(التوشيع) ان تأتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر بمعطوف ومعطوف عليه مأخوذ من الوشيعة وهى الطريقة فى البرد ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل وقول ابن الرومى فى عبدالله بن سليمان بن وهب

اذا أبو قاسم جادت لنا يده * لم يحمد الاجودان البحر والمطر

وان أضاءت لنا أنوار غرته * تأخر الماضيان السيف والقدر

من لم يبت حذرا من سطو صولته * لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر

ينال بالظن ما يعيا العيان به * والشاهدان عليه العين والاثر

كأنه وزمام الدهر فى يده * يدرى عواقب ما يأتى وما يذر

(التطريز) ان يشتمل الصدر على ثلاثة أسماء مخبر عنه ومتعلقين به ويشتمل العجز على الخبر مقيدا بمثله مرتين كقول الشاعر

وتسقينى وتشرب من رحيق * خليق أن يلقب بالخلوق

كأن الكاس فى يدها وفيها * عقيق فى عقيق فى عقيق

وقول ابن الرومى

امور كم بنى خاقان عندى * عجاب فى عجاب فى عجاب

قرون فى رءوس فى وجوه * صلاب فى صلاب فى صلاب

(التشريع) ان يأتى الشعر على ضربين فتكون لكل من أبياته قافيتان يصح المعنى فى الاقتصار على الاولى منهما وفى زيادة الثانية عليها ومن امثلته قول الشاعر

واذا الرياح مع العشى تناوحت * هوج الرياح بكثبهن شمالا

ألفيتنا نقرى النبيط لضيفنا * قبل النزال وتقتل الابطالا

وقول الحريرى

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

الابيات (الالتزام) ان يلتزم المتكلم فى السجع أو التقفية قبل حروف الروى مالا يلزمه من مجىء حرف بعينه أو حرفين أو أكثر ويحمد منه

ماعدم الـكلفة لدلالته على الاقتدار وقوة المادة ومن امثلته قول أم زرع وتزوجت بعده سريا يركب فرسا سريا فراح على نعما ثريا وقول السادسة ان أكل استف وان شرب اشتف وان رقد التف وما جاء فى القرآن الكريم من نحو تذكروا فاذاهم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون والطور وكتاب مسطور فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل وما وسق والقمر اذا اتسق فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وقل استعماله فى اشعار المتقدمين واما المتأخرون فقد أكثروا من تعمده حتى عمل منه أبو العلاء ديوانا كبيرا ومنه قوله

لك الحمد امواه البلاد باسرها * عذاب وخصت بالملوحة زمزم

هو الحظ غير الوحش يستاف أنفه الـ * خزامى وأنف العود بالعود يخزم

وقوله مضت لى من الايام سبعون حجة * وما أمسكت كفاى ثنى عنان

ولا كان لى دار ولا ربع منزل * ولامسنى من ذاك روع جنان

تيقنت انى هالك وابن هالك * فهان على الدهر والثقلان

ولابى نواس من ذلك مايروق سمعه وهو

عنان يامنيتى وياسكنى * أما ترينى أجول فى سكك

ملكتنى اليوم يامعذبتى * فصيرينى الغداة من فكك

وعجلى ذاك وارحمى قلقى * ثم اكتبى لى الامان فى صكك

(التفويف) ان تأتى بمعان متلائمة فى جمل مستوية المقدار أو متقاربة من قولهم ثوب مفوف للذى على لون وفيه خطوط بيض وهو ضربان الاول ماجله على القاطع كقوله يصف سحابا

يسربل وشيا من خزوز تطرزت * مطارفها طرزا من البرق كالتبر
فوشي بلا رقم ونقش بلا يد * ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

وقوله

ومن عجب ان يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك كافور وخالك عنبر

الضرب الثانى ماجمله مدمجة وهو ثلاثة أقسام لان جمله اما طوال كما فى قول عنترة

ان يلحقوا أكرر وان يستلحموا * أشدد وان نزلوا بضنك فانزل

واما متوسطة كما فى قول ابن زيدون

ته احتمل واحتكم اصبر وعز أهن * وذل اخضع وقل اسمع ومر أطع

واما قصار كما فى قول ديك الجن

احل وامرر وضر وانفع ولن واخـ * ـشن ورش وابر وانتدب للمعالى

وقد أربى عليه أبو الطيب فى قوله

اقل أنل اقطع احمل عل أسل أعد * زد هش بش تفضل ادن سر صل

ثم زاد وتباغض فصنع

عش ابق اسم سد قد * جر مر انه ره فه اسر نل
غظ ارم صب احم اغز * اسب رع زع ده له اثن بل

وان كان على ماذكر انه سئل ان ينظم بيتا لم يصنع أكثر كلمات منه فصنعه وفيه أربع وعشرون كلمة فله فى ذلك قوة وعذر (الاطراد) ان يولى الشاعر اسم ممدوحه ليزداد تعريفا أسماء آبائه على ترتيب صحيح

ونسق غير مختل التسلسل من غير تكلف فى النظم ولا تعسف فى السبك حتى تكون الاسماء فى تحدرها كاطراد الماء وسهولة انسجامه ومن أمثلته قول الشاعر

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقول الاعشى

اقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وانت امرؤ يرجو حباءك وائل

واجود منه قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب

ومنهم من فضل عليه قول بعض المحدثين

من يكن رام حاجة بعدت عنـ * ـه واعيت عليه كل العياء

فلها احمـد المرجى بن يحيي بـ * ـن معاذ بن مسلم بن رجاء

وليس بمرضي لان فى بيت دريد ادماجا يمكن القافية فى اطراد اربعة اسماء فى شطر من الطويل بل من غير تكلف وفى هـذا البيت ادماج يمكن القافية فى اطراد خمسة اسماء فى بيت من الخفيف مع ما فيه من تكلف التضمين المشترك وهو الفصل بين الاسماء بلفظ المرجى ﴿المزاوجة﴾ ان تأتى فى غير رد العجز على الصدر بمتماثلين فى اصل المعنى والاشتقاق فحسب كقوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴿التجنيس﴾ ويسميه قدامة طباقا وهو ان تأتى فى غير رد العجز على الصدر بلفظتين بينهما تماثل فى الحروف وتغاير فى

المعنى وهو ثمانية اصناف الاول التجنيس المماثل وهو ان يتفق الكلمتان لفظا ونوعا كما فى قول عبد الله بن طاهر

وانى للثغر المخوف لكالئ * وللثغر يجرى ظلمه لرشوف

وقول الآخر

ياأخوتى مذبانت النجب * وجب الفؤاد وكان لايجب
فارقتكم و بقيت بعدكم * ماهكذا كان الذى يجب

الثانى التجنيس المستوفى وهو ان يتفق الكلمتان لفظا لانوعا كقول ابى تمام

مامات من كرم الزمان فانه * يحيا لدى يحيى بن عبد الله

الثالث التجنيس المركب و ينقسم الى مفروق ومرفوقا لمفروق مااحد لفظيه مؤلف من جزأين مستقلين كقوله

اذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه

والمرفو قسمان احدهما امار فى احدى كلمتيه ببعض الاخرى كقول الحريرى

ولاتله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكى الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

والآخر مار فى احدى كلمتيه بحرف من حروف المعانى اما مصدرا كما فى قوله

تفرق قلبى فى هواه فمنه * فريق وعندى شعبة وفريق
اذاظمئت روحى أقول له اسقنى * وان لم يكن ماء لديه فريق

واما مؤخرا كما فى قول الآخر

جعلت هديتى لكم سواكا * ولم أقصد به أحدا سواكا

بعثت اليك عودا من أراك * رجاء أن أعود وان أراكا

الرابع التجنيس المحرف وهو أن يتفق الكلمتان فيما سوى الشكل أو التضعيف او زيادة المد كقولهم البدعة شرك الشرك وقولهم الجاهل اما مفرط او مفرط وقول الشاعر

وذلكم انذل الجار حالفكم * وان انفكم لاتعرف الانفا

الخامس التجنيس الناقص وهو ان تكون احدى الكلمتين مشتملة على لفظ الاخرى وزيادة مصدرة أو مؤخرة كما فى قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق وقول الشاعر

يمدون من ايدعواص عواصم * تصول باسياف قواض قواضب

السادس تجنيس التصحيف وهو ان يتفق الكلمتان فى عدد الحروف وذوات بعضها مع اتحاد الكتابة كقول ابن المعتز

له وجه به يصبى و يضنى * ومبتسم به يسقى و يشفى

وقول البحترى

ولم يكن المعتز بالله اذ نجا * ليعجز والمعتز بالله طالبه

وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا السابع تجنيس التصريف وهو ماكان كتجنيس التصحيف الا فى اتحاد الكتابة و ينقسم الى ماتقاربت فيه مخارج حروفه و يسمى المضارع والى مالم يتقارب فيه و يسمى اللاحق فمن المضارع قوله تعالى وهم ينهون عنه و ينأون عنه

وقول الشاعر

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد البلى تحت الصفا والصفائح

ومن اللاحق قول الشاعر

رأت شخص مسعود بن بشر بكفه * حديد حديث بالوقيمة ممتد

وقول الآخر

نظرت الكثيب الايمن الفرد نظرة * فردت الى الطرف يدمى و يدمع

الثامن تجنيس العكس و يسمى المخالف وهو ان تشتمل احدى الكلمتين على حروف الاخرى دون ترتيبها كقول البحترى

شواجر أرماح تقطع بينهم * شواجر أرحام ملوم قطوعها

وقول المتنبي

ممنعة منعمة رداح * يكلف لفظها الطير الوقوعا

والحق بالتجنيس قوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم وقوله فروح و ريحان وقول زهير

كأن عيني وقد سال السليل بهم * وجيرة ماهم لو انهم أمم

(المطابقة) ان يجمع فى الكلام بين المتضادين من قولهم طابق الفرس اذا وقع رجله فى المشى مكان يده وهى ثلاثة اضرب * الاول ما لفظاه حقيقتان و ينقسم الى طباق الايجاب كما فى قوله تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ومثله

اما والذى ابكى واضحك والذى * امات واحيا والذى أمره الامر

والى طباق السلب كما فى قول البحترى

يقيض لى من حيث لا اعلم النوى * و يسرى الى الشوق من حيث أعلم

واحسن منه قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا * الثاني ما لفظاه مجازان كما فى قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه اى ضالا فهديناه ومثله

حلو الشمائل وهو مر باسل * يحمى الذمار صبيحة الارهاق

الضرب الثالث ما كان احد لفظيه حقيقة والآخر مجازا كما فى قول ابى تمام

له منظر فى العين ابيض ناصع * ولكنه فى القلب اسود اسفع

(المقابلة) ان تأتى فى الكلام بجزأين فصاعدا ثم تعطف عليه متضمن اضدادها اوشبه اضدادها على الترتيب فان اختل كانت مقابلة فاسدة واقلها مقابلة اثنين باثنين كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومنه قول الشاعر فياعجبا كيف اتفقنا فناصح * وفى ومطوى على الغل غادر

وقول عمرو بن كلثوم

ورثناهن عن آباء صدق * ونورثها اذا متنا بنينا

واكثرها مقابلة خمسة بخمسة فمن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

ومن مقابلة اربعة بأربعة قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ومثله قول النابغة يصف حمارا واتانا وحشيين .

اذا هبطا سهلا أثار عجاجة * وان وطئا حزنا تشظت جنادل

فقابل اذا بان وهبطا بوطئا وسهلا بحزنا وعجاجة بجنادل ومن مقابلة خمسة

بخمسة قول المتنبي

ازورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثني وبياض الصبح يغري بي

فقابل أزور بانثني وسواد ببياض والليل بالصبح ويشفع بيغري ولى بي من غير حشو مع سهولة النظم وتمكين القافية ولذلك عدا فضل بيت في المقابلة (التدبيج) ان تذكر في معنى من المدح أو غيره ألوانا لقصد الكناية أو التورية فمن تدبيج الكناية قول أبي تمام

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهي من سندس خضر

وقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل ونزال

تلق بيض الوجوه سود مثار الـ * ـنقع خضر الاكناف حمر النصال

ومن تدبيج التورية لفظ الاصفر في قول الحريري فمذ ازور المحبوب الاصفر واغبر العيش الاخضر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فياحبذا الموت الاحمر (المشاكلة) ان تذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه معه كقول الشاعر

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

ومنه قوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وقوله تعالى تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك (التسهيم) ان يكون صدر الفقرة أو البيت أو شطره مقتضيا لعجزه ودالا عليه دلالة تستدعي المجيء به ليكون الكلام في استواء أقسامه واعتدال أحكامه كالبرد المسهم في استواء خطوطه وهو ضربان الاول مادلالته لفظية ومنه مايشبه التصدير كقول

ابن دمينة

وكونى على الواشين لداء شغبة * كما أنا للواشى الدشغوب

وكونى اذا مالوا عليك صليبة * كما انا ان مالوا على صليب

ومنه مايشبه المقابلة كقول الشاعر

ولو اننى أعطيت من دهرى المنى * وما كل من أعطى المنى بمسدد

لقلت لايام مضين الا ارجعى * وقلت لايام أتين الا ابعدى

الضرب الثانى مادلالته معنوية كالثانى من قول أبى نواس

تمشى الهوينا اذا مشت فضلا * مشى النزيف المخمور فى الصعد

تظل من زور بيت جارتها * واضعة كفها على الكبد

وقد اجتمع الضربان فى شعر جنوب أخت عمرو ذى الكلب وهو

فاقسمت ياعمرو ولو نبهاك * اذا نبها منك داء عضالا

اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء لاتشتكى الكلالا

فكنت النهار بها شمسه * وكنت دجى الليل فيها الهلالا

فالبيت الاول والرابع من الضرب الاول وعجز البيت الثانى والبيت الثالث من الضرب الثانى وأحسن التسهيم ما كان معه من التشاكل وتآخى الالفاظ مايسهل استخراج القافية أو الشطر بكماله أو كان مطردا منعكسا لدلالة أوله على آخره ودلالة آخره على أوله فمن الاول قوله

وفى أربع منى حلت منك أربع * فلم أتيقن أيها هاج لى كربى

أوجهك فى عينى أم الريق فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

وقول البحترى

أحلت دمى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء سلامى

فليس الذى حللتــه بمحلــل * وليس الذى حرمته بحرام

ومن الثانى قول أبى نواس

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

لانه متى انتفى كون الجود يتقدم شخصا أو يتأخر عنه فقد ثبت كونه معه وبالعكس (التوشيع) ان يكون فى الصدر كلمة اذا علم معناها علمت منه قافية البيت لكونه من جنس معنى القافية أو ملزوما له سمى بذلك لان دلالة أول مافى الكلام على مافى آخره تنزل المعنى منزلة الوشاح وأول الكلام وآخره بمنزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما ومن أمثلته قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين لان الاعلام باصطفاء المذكورين قد دل على الفاصلة لان من لوازم اصطفاء شئ ان يكون مختارا على جنسه أو على نوع منه وقول الشاعر

وان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع متى فهم ان الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وعلم ان القافية نونية مردفة مطلقة بالالف علم ان القافية رزينا ولا بد (القلب) هو أصناف منها التبديل وهو عكس الكلمات فى الترتيب كقولهم كلام الملوك ملوك الكلام ومثله قول المتنبى

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وقال تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومنها قلب البعض

ومن امثلته قوله

وقالوا أى شئ منه أحلى ❊ فقلت المقلتان المقتلان

ومنها قلب الكل كقول الآخر

حسامك منه للاحباب فتح ❊ و رمحك منه للاعداء حتف

ومنها المجنح وهو ان يكون أحد الطرفين من البيت والمصراع قلبا للآخر كقوله لاح انوار الندى من ❊ كفه فى كل حال ومنها المستوى وهو ما يقرأ طرد او عكسا وهو نوع صعب المسلك قليل الاستعمال وجاء منه فى التنزيل قوله تعالى كل فى فلك وقوله وربك فكبر ومن امثلته قولهم مودتى تخلى تدوم وقول العماد الكاتب للقاضى الفاضل سر فلا كبابك الفرس وقول القاضى فى جوابه دام علاء العماد وقول الحريرى

آس أرملا اذا عرا ❊ وارع اذا المرء أسا

وقول الآخر

عج تنم قربك دعد آمنا ❊ انما دعد كبرق منتجع

وقد يكون ثانى المصراعين قلبا للاول كما فى ❊ أرانا الاله هلالا أنارا ❊ واصل الحسن فى هذه الانواع ان تكون الالفاظ توابع للمعانى غير متكلفة لتحصيل البديع وكثيرا ما يورد الاصحاب هاهنا انواعا أخر مثل التزام كون الحروف معجمة او مهملة او بعضها معجم و بعضها مهمل فلك ان تستخرج منها ما أحببت

﴿ الفصل الثانى فيما يرجع الى الفصاحة المعنوية ﴾ و يختص بافهام المعنى وتبيينه وهو تسعة عشر نوعا (حسن البيان) وهو كشف المعنى

وايصاله الى النفس بسهولة وينقسم البيان الى حسن ومتوسط وقبيح فالقبيح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبي كان معه فاراد ان يقول أحد عشر فادركه العى ففرق أصابع يديه وأدلع لسانه فافلت الظبي والمتوسط كما لو قال خمسة وستة أوعشرة وواحد والحسن كما لو قال أحد عشر ويجيء حسن البيان مع الايجاز كما يجيء مع الاطناب فمن مجيئه مع الايجاز قول الشاعر

له لحظات عن حفافى سريره * اذا كرها فيه عقاب ونائل

فانه على اختصاره قد أبان احسن بيان عن مدح الممدوح بالخلافة ووصفه بالقدرة المطلقة بعد الله تعالى ومنه فى الاطناب قول الحرث الكنانى يخاطب عبدالله بن عبد الملك وهو عامل لابيه على مصر

لما وقفت عليه فى الجموع ضحى * وقد تعرضت الحجاب والخدم

حييته بسلام وهو مرتفق * وضجة الناس عندالباب تزدحم

فى كفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

(الايضاح) ان ترى بكلامك لبسا لكونه موجها أوخفى الحكم فتمده بكلام يوضحه ويبين المراد فمن ايضاح الموجه قول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنا والعلم والحلم والجهل

فألقاك عن مكروهها متنزها * وألقاك فى محبوبها ولك الفضل

ومن ايضاح خفى الحكم قول ابن حيوس

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كاسه الملأى وعن ابريقه

فمل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

(المذهب الكلامي) ان تورد مع الحكم ردا لمنكره حجة على طريق المتكلمين أى صحيحة مسلمة الاستلزام وينقسم الى منطقى وجدلى فالمنطقى ما كانت حجته برهانا يقينى التأليف قطعى الاستلزام والجدلى ما كانت حجته امارة ظنية لاتفيد الا الرجحان وأول من ذكر المذهب الكلامي الجاحظ وزعم ان ليس فى القرآن منه شئ ولعله أعما عنى القسم المنطقى فان الجدلى فى القرآن منه كثير كقوله وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه تقديره والاهون أدخل فى الامكان وقد أمكن البدء فالاعادة أدخل فى الامكان من بدء الخلق ومثله قوله تعالى مااتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله حكاية عن ابراهيم عليه السلام قال أتحاجونى فى الله وقد هدان الى قوله مهتدون ومما جاء فى الشعر قول النابغة يعتذر الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مهرب

لئن كنت قد بلغت عنى خيانة * لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكننى كنت امرأ لى جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب

ملوك واخوان اذا مامدحتهم * أحكم فى أموالهم وأقرب

كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم * فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا

يقول أنت أحسنت الى قوم فمدحوك وأنا أحسن الى قوم فمدحتهم فكما ان مدح أولئك لك لايعد ذنبا كذلك مدحى لمن أحسن الى

(التبيين) و يسمى تفسير الخفى وهو ان يكون فى مفردات كلامك لفظ مبهم المعنى لكونه مطلقا أو غير تام التقييد مرادا به بعض ماتناوله فتتبعه مايفسره و يشرح معناه من وصف فيه تفصيل وهو ضربان الاول تبيين أحد ركنى الاسناد بالآخر كقول الشاعر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر
يحكى أفاعيله فى كل نائبة * الغيث والليث والصمصامة الذكر

الضرب الثانى تبيين أحد ركنى الاسناد أو غيره بالنعت أو نحوه كقول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

وقد أحسن ماشاء فى جودة التركيب واستيفاء أقسام ماذكره الله تعالى من منافع النجوم وكقول الفرزدق

لقد خنت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لالفيت منهم معطيا اومطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

(التتميم) وهو ضربان الاول تتميم المعانى وهو تقييد الكلام بتابع أو فضلة أو نحوها لقصد المبالغة أو الصيانة عن احتمال الخطأ كقول زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته للمبالغة فى غاية من الحسن وكقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

احترز بغير مفسدها عن الدعاء على الديار بالفساد لكثرة المطر ونحو قول الشاعر

لئن كان باقي عيشنا مثل مامضى * فللموت ان لم يدخل النار أروح

لان قوله ان لم يدخل النار فى معنى قولك مع سلامة العاقبة الضرب الثانى تتميم الالفاظ ويسمى حشوا وهو مايقوم به الوزن ولا يحتاج اليه المعنى ويستحسن منه ماأدمج فيه ضرب من البديع كقول المتنبي

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لرأيت فيه جهنما

فانه لما تم له المعنى واحتاج فى الوزن الى مثل ياجنتى تم به فحصل منه ومن القافية على طباق حسن ولوقال مثلا يامنيتى فتمم الوزن فقط لكان مستهجنا معيبا كالذى فى قول أبى تمام

خذهاابنة الفكر المهذب فى الدجى * والليل اسودرقعة الجلباب

وقول الآخر

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

(التقسيم) ان تتعلق نسبة منطوق الكلام اومفهومه بمعنى له أقسام عندك اوفى نفس الامر فتورد فى الذكر مايستوعبها من متعلق تلك النسبة او مغن عنه غير مقتصر على ذكر بعض الاقسام ولا مكتف بالاجمال كما استوعب أقسام فاعل راح بشار فى قوله

فراح فريق والاسارى ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هارب

واقسام خبر هذيل عمرو بن الاهتم فى قوله

اشر يا ماشر بتما فهذيل * من قتيل أو هارب اواسير

ومثله بيت الحماسة

فهبها كشيء لم يكن أو كنازح * به الدار أومن غيبته المقابر

فلم يبق شيأ من أقسام المعدوم الا ذكره وأقسام مفعول قال نصيب في قوله

فقال فريق القوم لاوفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ماندرى

وكما استوعب ماأغنى عن أقسام المفعول له لتهيم عمر بن ابى ربيعة في قوله

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولاأنت تقصر

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

بدليل انك لو أتيت بلفظ لانه مكان فاء العطف كان المعنى صحيحا وكما استوعب أقسام متعلق النسبة المفهومة من الكلام قوله تعالى يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما لانه في معنى الناس منهم ذو بنات ومنهم ذو بنين ومنهم ذو بنات و بنين ومنهم عقيم (الاحتراس) ان تأتى في المدح أوغيره بكلام فتراه مدخولا بعيب من جهة دلالة منطوقه أو فحواه فتردفه بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ كما جاء في حديث أم زرع المس مس أرنب والريح ريح زرنب وأغلبه والناس يغلب فانها لو اقتصرت على قولها وأغلبه لقيل لها ان رجلا تغلبه المرأة لضعيف مغلب فيصير المدح مشوبا بالقدح فزادت والناس يغلب فناسبت بين قرائنها بجملة تضمنت الاحتراس وكما قالت الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى

فقطنت لتوجه أن يقال لها قد ساويت أخاك بالهالكين من اخوان الناس فلم فرطت فى الجزع عليه فاحترست بقولها

وما يبكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

(التكميل) أن تأتى فى شئ من الفنون بكلام فتراه ناقصا لكونه مدخولا بعيب من جهة دلالة مفهومه فتكمله بجملة ترفع عنه النقص مثل ان تجيد مدح رب السيف بالكرم دون الشجاعة أو رب القلم بالبلاغة دون سداد الرأى ونفاذ العزم فتراه ناقصا فتذكر معه كلاما يكمل المدح و يرفع ايهام الذم كما قال كعب بن سعد الغنوى * حليم اذا ماالحلم زين أهله * فرأى ان وصفه الممدوح بمجرد الحلم غير واف بالغرض لان من لم يعرف منه الا الحلم ربما طمع فيه عدوه فينال منه مايذم به فكمله بقوله * مع الحلم فى عين العدو مهيب * وكما قال السموءل * وما مات منا سيد فى فراشه * فرأى انه قد وصف قومه بالصبر على القتل دون الانتصار من قاتليهم فكمله بقوله * ولا طل منا حيث كان قتيل * وكما قال ابن الرومى فيما كتب به الى صديق له انى وليك الذى لم تزل تنقاد اليك مودته عن غير طمع ولا جزع وان كنت لذى الرغبة مطلبا ولذى الرهبة مهربا.(التذييل) ان تأتى بعد تمام الكلام بمشتمل على معناه من جملة مستقلة بنفسها لافادة التوكيد والتحقيق لدلالة منطوق الكلام أو دلالة مفهومه فمن الاول قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور لان فى المعطوف اعادة المعنى افهاما للغبي وتقريرا عند الذكى لاستحقاق العذاب بالكفر ومثله وما جعلنا

لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت فيه تذييلان وقول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلاأمل

نظر فيه الى قول المتنبي حيث يقول

تمسى الأمانى صرعى دون مبلغه * فما يقول لشئ ليت ذلك لى

وقد أربى عليه فى المدح والادب مع الممدوح حيث لم يجعله فى حيز من يتمنى شيأ ومن الثانى بيت النابغة لان قوله

ولست بمستبق أخالا تلمه * على شعث قد دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بقوله أى الرجال المهذب ومثله قول الحطيئة و هو حسن جدا

نزور فتى يعطى على الحمد ماله * ومن يعط أثمان المكارم يحمد

(الاعتراض) ويسميه قدامة التفاتا وهو أن تأتى فى أثناء الكلام بكلام يفيد اما رفع الشك والاغناء عن تقدير السؤال كما فى قول الشاعر

فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

لان قوله فلا صرمه يبدو مشعر بكونه أحد مطلوبيه وذلك مما يشك فى أمره ويحرك سامعه لمثل أن يقول وما تصنع بصرمه فقبل أن يتم كلامه قال وفى اليأس راحة فجلا الشك وأغنى عن تقدير السؤال ونحوه قول نصيب

فكدت ولم أخلق من الطير إن بدا * سنا بارق نحو الحجاز أطير

فقوله ولم أخلق من الطير عجب فى الجودة لكونه مغنيا عن سؤال متضمن

للانكار واما تقرير المعنى وتوكيده كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم انه القرآن كريم فقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض بين القسم وجوابه تقرير للتوكيد وتعظيم للمحلوف به وقوله لو تعلمون اعتراض فى اعتراض (المبالغة) ومنهم من لا يرى لها فضلا ولا يعدها من محاسن الكلام محتجا بان خير الكلام ماخرج مخرج الحق وجاء على نهج الصدق كما يشهد له قول حسان

وانما الشعر لب المرء يعرضه * على المجالس ان كيسا وان حمقا

فان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وقول الحورية امرأة حطان الخارجى أنت أعطيت الله عهدا أن لا تكذب فى شعرك فكيف قلت فهناك مجزأة بن ثو * ر كان أشجع من أسامه فقال ياهذه ان هذا الرجل فتح مدينة وحده وما سمعت بأسد فتح مدينة قط (١) الاسد وبأن المبالغة لا تأتى الا من ضعيف قد عجز عن الاختراع والتوكيد فعمد اليها ليسد خلله بما فيها من التهويل وربما أحالت المعانى وأخرجتها الى حد الامتناع ومنهم من يقصر الفضل عليها وينسب المحاسن كلها اليها محتجا بأن أحسن الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه وباستدراك النابغة على حسان فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

تلك المواضع الخمسة وليس فيها الا ترك المبالغة والمذهب المرضى أن المبالغة ضرب من المحاسن والكلام بها فضل بهاء ورونق ليس لغيره ولكن

---

(١) هكذا بالاصل ولعل فيه سقطا وصواب العبارة فهو أشجع من الاسد والله أعلم كتبه مصححه

لا على الاطلاق وان فضل الصدق لا ينجحد وقد رأينا كثيرا من الكلام جاريا مجرى الصدق المحض خارجا مخرج الحق البحت وهو فى غاية الجودة ونهاية الحسن والقوة كقول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

ومع هذا فللمبالغة فضيلة لا تنكر ولو كانت معيبة لما أتت فى القرآن الكريم على وجوه شتى ولبطلت الاستعارة والتشبيه وكثير من محاسن الكلام ولكان الذين مذهبهم ترجيح الصدق وهم أكثر الفحول كزهير وحسان والحطيئة يكرهون ضده ويجحدون فضله وهم بخلاف ذلك لأنهم قد استكثروا منه وقلما يخلو شعرهم عنه فعائب المبالغة على الاطلاق مخطئ وعائب الكلام الحسن بترك المبالغة غير مصيب وخير الامور اوسطها واذا وقفت على الحديث فى رد المبالغة وقبولها فلننتقل الى الكلام فى تعريفها وبيان طرقها وصنوفها فنقول المبالغة هى أن يكون للشئ عندك وصف فتريد التعريف بمقدار شدته أو ضعفه فتدعى له من مقدار زيادة الشدة أو الضعف ما يستبعد أو يحيل العقل ثبوته له لئلا يظن بالوصف دون مقدار ما هو عليه فى نفس الأمر ولها طريقتان الاولى ان يستعمل اللفظ فى غير معناه لغة كما فى الكناية والتشبيه والاستعارة وغيرها من أنواع المجاز التى سبق التنبيه عليها والثانية أن يشفع ما يفهم المعنى على وجه عما يقتضى فيه تلك الزيادة من ترادف الصفات لقصد التهويل كما

فى قوله تعالى فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض أو من التتميم بما يبلغ به المتكلم أقصى مايمكن من الوصف أو يزيد عليه كما قال

وتكرم جارنا مادام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

فانه لم يكتف بما أفهمه صدر البيت من مقدار ماعليه هو وقومه من الاحسان الى الجار حتى شفعه بقوله ونتبعه الكرامة المقتضى من الزيادة فى كثرة الاحسان مايستبعده العقل ليأخذ منه مايرتدع به عن حمل أول الكلام على التجوز ثم لم يقتصر حتى تمم بقوله حيث مالا فتقصى غاية مايمكن من المدح برعاية الجار وكما قال امرؤ القيس

فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

فوصف فرسه بأنه أدرك ثورا وبقرة وحشية فى مضمار واحد ولم يعرق وقد أحسن أبو تمام أخذه فقال

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

وكما قال امرؤ القيس أيضا

نظرت اليها والنجوم كأنها * مصابيح رهبان تشب لقفال

يقول نظرت الى هذه النار تشب لقفال والنجوم كأنها مصابيح رهبان لانه أدركها ضوء الصباح فقل نورها وتباعد مابينها فى المرأى وذلك هو الوقت الذى يرجع فيه القفال من الغزو والغارات فاذا كانت هذه النار تشب فى ذلك الوقت وهو وقت خمود سنا النيران وكلال موقديها فكيف كانت فى أول الليل والمبالغة ثلاثة أصناف لانها راجعة الى دعوى المتكلم للوصف

اشتدادا أو ضعفا على مافوق مايسلمه العقل و يستقر به وذلك المقدار اما ممكن فى نفسه أو غير ممكن والممكن اما ممتنع عادة أو غير ممتنع فدعوى كون الوصف على مقدار مستبعد يصح وقوعه عادة يسمى تبليغا وفيما تقدم من أمثلته كفاية ودعوى كون الوصف على مقدار ممكن ممتنع وقوعه عادة يسمى اغراقا ودعوى كون الوصف على مقدار غير ممكن يسمى غلوا ﴿أما الاغراق﴾ فقسمان احسنهما وأدخلهما فى القبول مااقترن به مايقربه من حد الصحة كقد وكاد ولو ولولا وحرف التشبيه كقول امرئ القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول * من النمل فوق الاتب منها لأثرا

فلفظ لو قرب الدعوى حتى صح من السامع أن يسلمها والقسم الآخر مالم يقترن به شئ من ذلك كقول امرئ القيس بعد قوله نظرت اليها البيت

تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

فانه وان امتنع عادة ادراك نار من مثل هذه المسافة فهو ممكن عقلا اذ لايمتنع خلو مثل المسافة المذكورة عن حائل من جبل أوغيره ولا كون النار من المعظم بحيث ترى من مثل ماذكر فانه لايمنع من نفوذ حاسة البصر فى الاجسام الشفافة الى الاجرام النيرة إلا صغر مقدارها بالنسبة وأنشد ابن المعتز

ملك تراه اذا احتبي بنجاده * غمر الجماجم والصفوف قيام

﴿ واما الغلو ﴾ فضربان مقبول و مردود فالمقبول ان لايتضمن دعوى كون الوصف على مقدار غير ممكن الوصف بما هو خارج عن طباق الموصوف وهو قسمان أولاهما بالقبول مااقترن به مايقربه من الحق كقوله يصف فرسا

ويكاد يخرج سرعة عن ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق

والاحسن منه قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار والقسم الآخر ما كان غير مقترن ومن مختاره قول النابغة يصف السيوف

تقد السلوقي المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نار الحباحب

(وقوله) أليس عجيبا بان امرأ * شديد الجدال دقيق الكلم

يموت وما علمت نفسه * سوى علمه أنه ما علم

(وأما الغلو المردود) فان يتضمن دعوى كون الوصف غير ممكن الوصف بما هو خارج عن طباع الموصوف كقول النمر بن تولب يشبه نفسه بالسيف

أبقى الحوادث والأيام من نمر * آساد (١) سيف صقيل إثره بادي

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادي

فهذا غلو كثير وخروج الى وصف السيف بما ليس في شأنه ولا في طبعه ان يفعله وكذا قول ابي نواس

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

وقد أكثر من هذا الاسلوب ابو الطيب حتى يعلق عليه بما له عنه غنى كقوله

او كان صادف رأس عازر سيفه * في يوم معركة لأعيا عيسى

أو كان لج البحر مثل يمينه * ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله كأني دحوت الارض من خبرتي بها * كأني بني الاسكندر السد من عزمي

فشبه نفسه بالخالق تعالى الله علوا كبيرا ثم انحط الى الاسكندر ﴿الايغال﴾

---

(١) هكذا بالاصل آساد والذى فى الاغانى أسياد بياء بعد السين فليحرر كتبه مصححه

أن تأتى فى المقطع من البيت أو الفقرة بنعت لما قبله مفيدا زيادة المبالغة أو تتميمها فمن الايغال بزيادة المبالغة قول ذى الرمة

قف العيس من اطلال مية واسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

أظن الذى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

وقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

أوغلت أشد إيغال بقولها فى رأسه نار بعد ماجعلته جبلا عاليا مشتهرا بالهداية ومن الايغال فى تتميم المبالغة قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فان فى تشبيه عيون الوحش بالجزع من غير تقييد نقصا لان عيون الوحش غير مثقبة فتمم المبالغة فى التشبيه بقوله الذى لم يثقب وقول الآخر

جمعت رديذيا كأن سنانه * سنا لهب لم يتصل بدخان

فقوله لم يتصل بدخان ايغال بتتميم المبالغة فى غاية الظرافة والحسن

﴿التكرار﴾ اعادة اللفظ لتقرير معناه ويستحسن فى مقام نفى الشك كقوله

لسانى لسرى كتوم كتوم * ودمعى بحبى نموم نموم

وقوله

يقلن وقد قيل انى هجدت * عسى أن يلم بروحى الخيال

حقيق حقيق وجدت السلو * فقلت لهن محال محال

أومقام التعظيم كبيت الكتاب

لاأرى الموت يسبق الموت شيء * نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

أو التنويه كقولها

وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار

أو الاستعذاب لاسم المذكور كقوله

فياليت لبنى لم تكن لى خليلة * ولم تلقنى لبنى ولم أدرماهيا

أو لتوكيد المدح كقول ابى تمام

بالصريح الصريح والاروع الار * وع منهم وباللباب اللباب

أو التوبيخ كقول الآخر

الى كم وكم أشياء منكم تريبنى * أغمض عنها لست عنها بذى عمى

أوالتهديد كقوله تعالى الحاقة ماالحاقة كلاسوف تعلمون ثم كلاسوف تعلمون ومن المعجز مافى سورة الرحمن فانه عز وجل كلما عدد منة أو ذكر نعمة كرر فبأى آلاء ربكما تكذبان وقد قسم ابن رشيق التكرار الى لفظى مثل ماذكرنا والى معنوى وعدد منه قول امرئ القيس

فيالك من ليل كان نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

كان الثريا علقت فى مصامها * بامراس كتان الى صم جندل

قل لان النجوم تشتمل على الثريا اشتمال يذبل على صم الجندل وقوله شدت بكل مغار الفتل مثل قوله علقت بامراس كتان فمعنى البيتين المذكورين سواء وهذا الذى ذكره وان كان حقا غير ان الناس قد سموا نحو مافى البيتين تذييلا فلاحاجة الى تقسيمه ولا الى ماأحدث من تسميته

(الاستطراد) ان تكون فى شئ من الفنون فتوهم استمرارك فيه وتخرج

منه الى غيره ثم ترجع فان تماديت فى ذاك الخروج فلابد من التصريح باسم المستطرد به وأكثر مايجيء بالهجاء كقول السموءل

وانا لقوم لانرى القتل سبة * اذا مارأته عامر وساول

وقول البحترى

ماان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

وقد قال تعالى ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ومما جاء منه فى النسب قول امرئ القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكى الديار كما بكى ابن حزام

وفى المدح قول بكر بن النطاح

عرضت عليها ماأردت من المنى * لترضى فقالت قم فجئنى بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

سلى كل شئ يستقيم طلابه * ولا تذهبي يابدر بى كل مذهب

فاقسم لو أصبحت فى عز مالك * وقدرته أعيا بما رمت مطلبي

فتى شقيت أمواله بنواله * كما شقيت بكر بأرماح تغلب

وهو من أبدع استطراد وقع لجمعه بأخصر لفظ وأحسن بيان بين مدح الممدوح بالكرم وقبيلته بالشجاعة والظفر وبين الهجو لاعدائهم بالضعف والخور ﴿التجريد﴾ ان تدل على ان الشئ بليغ فى وصف بدعوى مايستلزم صحة استخلاص موصوف تهيأ منه كما تقول لى من فلان صديق حميم على دعوى انه قد بلغ من الصداقة مبلغا صح معه ان يستخلص منه مثله فيها قال الله تعالى لهم فيها دار الخلد وجهنم أعاذنا الله منها هى دار الخلد ولكن

جرد منها مثلها وجعل معدا فيها للكفار تهويلا لأمرها ونحوه قول الشاعر

بنزوة لص بعد ما مر مصعب * بأشعث لايفلى ولاهو يقمل

الاشعث هو مصعب نفسه ولكن فرط شعثه صحح أن ينتزع منه أشعث آخر ويجعل مارا معه وقول الآخر

ولست بعل شره قبل خيره * ألف اذا مارعته اهتاج أعزل

تقديره اهتاج منه أعزل فادعى فيمن لايرى الأعزل عنه يهتاج منه اذا ارتاع أعزل وقول الآخر

وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغى * بمستلئم مثل الفنيق المرحل

أى تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها مستلئم أى لابس لامة الحرب ﴿التفريع﴾ وهوضرب ان الاول ان تأتى بالاسم منفيا بما وتنبعه بمعظم أوصافه اللائقة به ثم تخبر عنه بأفعل التفضيل موافق لمعنى الاوصاف معدى بمن فتفرع من ذلك مبالغة فى مدح المجرور بها أو ذمه وأكثر مايجىء منه فى بيتين فصاعدا كقول الاعشى

ماروضة من رياض الحزن معشبة * غناء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوما بأطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها اذدنا الاصل

ومما جاء منه فى بيت واحد قول أبى تمام

ماربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربى من ربعها الخرب

ولا الخدود وان ادمين من خجل * أشهى الى ناظر من خدها الترب

الضرب الثانى ان تأتى للممدوح أو غيره بصفة يقرب منها أبلغ منها فى معناها فيذكرك به فتفرعه منها كما قال

أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تشفى من الكلب

ففرع منهم ومن وصفهم بشفاء احلامهم اسقام الجهل شفاء دمائهم من داء الكلب وكما قال ابن المعتز

كلامه أخدع من لحظه * ووعده اكذب من طيفه

فبينما هو يصف خدع كلامه فرع منه وصف كذب وعده وقوله ايضا

وكأن حمرة لونها من خده * وكان طيب نسيمها من نشره

حتى اذا صب المزاج تشمشمت * عن ثغرها فحسبته من ثغره

(تأكيد المدح بما يشبه الذم) ان تنفى عن الممدوح وصفا معيبا ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم ان ستثبت له مايذم به فتأتى بما من شأنه أن يذم به وفيه المبالغة فى المدح كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقول ابن الرومى

وما يمتريها آفة وسنية * من النوم الا أنها تتبخر

كذلك أنفاس الرياض بسحرة * تطيب وأنفاس الورى تتغير

وأحسن منه قول الآخر

ولا عيب فينا غير أن سماحنا * أضر بنا والبأس من كل جانب

فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير عائب

أبونا أب لو كان للناس كلهم * أبا واحدا أغناهم بالمناقب

والحق بهذا النوع توكيد الذم بما يشبه المدح كقول ابن ابى الاصبع

خير مافيهم ولا خير فيهم * أنهم غير مؤثمى المغتاب

(التعليل) ان تقصد الى حكم فتراه مستبعدا لكونه قريبا أوعجيبا اولطيفا أو نحو ذلك فتأتى على سبيل التطرف بصفة مناسبة للتعليل فتدعى كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه فان اثبات الحكم بذكر علته أروج فى العقل من اثباته بمجرد دعواه ومن أمثلته قول مسلم بن الوليد

ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق

فانه لما غاير الناس وأغرب فى تحسين اساءة الواشى رأى انه قد أتى بما يستبعد صدقه فاستدل على صحته بدعوى أن الاساءة حصلت نجاة انسان عينه من الغرق بالدمع لامتناعه من البكاء حذرا من الواشى وخوفا على محبوبته وما حصل ذلك فهو حسن فاثبت صحة تحسين الاساءة باثبات علتها ونحوه قول ابن رشيق يعلل قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض مسجدا وطهورا

سألت الارض لم جعلت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لأنى * حويت لكل انسان حبيبا

وقد أحسن فى الاستخراج لكون الارض مسجدا وطهورا بعلة مناسبة لاحرج عليه فى ذكرها على لسانه فكيف وقد ذكرها على لسان الارض فى جواب سؤاله على أنه من قول أبى تمام

ربى شفعت ريح الصبا بنسيمها * الى المزن حتى جادها وهو هامع

كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقا لهن مدامع

وقال ابن هانئ المغربى

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما كنت أدرى علة للتيمم

أراد الاغراب والطرفة فوقع فى الغلو الذى أحال المعنى وأخرجه عن وجه الصحة ﴿ التهكم ﴾ اخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب وغيره أو تعريضا بالقوة المحركة للغضب وأصله من تهكمت البئر تهدمت وتهكم الشئ تعيب أومن تهكم عليه اشتد غضبه فان من تناهى غضبه ربما عظم كبره فاستهان بالمخاطب واستهزأ به وربما أحمى الغضب مزاجه حتى خيل اليه ضد مقتضى الحال فبنى عليه فأتى فى مقام الوعيد والانذار بالوعد والبشارة وفى مقام الهجاء بالمدح بكلماته أوكلمات الذم وفى مقام تحقيق الخبر بتضليله وفى مقام جحده باثباته وقبوله وسمى تهكما لتسببه عنه ثم أطلق التهكم على كل كلام أخرج استهزاء على ضد مقتضى الحال ومن أمثلته قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وبشر المنافقين بان لهم عذابا أليما ومنه قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وقول ابن الذروى فى ابن أبى حصينة

لاتظنن حدبة الظهر عيبا * فهى فى الحسن من صفات الهلال

وكذاك القسى محدودبات * وهى أنكى من الظبى والعوالى

كون الله حدبة فيك ان شئت من الفضل أومن الافضال

فأتت ربوة على طود علم * طال أو موجة ببحر نوال

ويقول فى آخرها

واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورنى فى الخيال

ومنها قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين وقوله قدنرى تقلب وجهك فى السماء قد يعلم الله المعوقين منكم ومنها قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله على تفسير المعقبات بالحرس حول السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله وهو تهكم فانه لايحفظه من أمر الله شئ اذا جاء ومنها قول امرئ القيس

وأنشب اظفاره فى النساء * فقلت هبلت ألا تنتصر

فقوله هبلت ألا تنتصر تهكم فى غاية اللطافة والحسن والله أعلم

﴿ الفصل الثالث ﴾ فيما يرجع الى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه الدالة على قوة عارضة المتكلم وتمكنه وهو خمسة عشر نوعا

﴿ اللف والنشر ﴾ أن يلف شيئين فى الذكر أوأكثر ثم يتبعهما متعلقات بهما اما على الترتيب فى اللف كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومنه قول ابن حيوس

فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

واما على العكس كما قال ابن حيوس ايضا

كيف أسلو وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

(التفريق) ان تعمد الى اثنين من نوع فتوقع بينهما تباينا فى المدح أو غيره كقول الشاعر

مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

(الجمع) ان تجمع بين شيئين فصاعدا فى شئ واحد كقوله تعالى المال

والبنون زينة الحياة الدنيا وكقول الآخر

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أي مفسده

(الجمع مع التفريق) ان تدخل شيئين فصاعدا فى معنى ثم تفرق بين جهتى الادخال كقوله

قد اسود كالمسك صدغا * وقد طاب كالمسك خلقا

فانه جمع بين الصدغ والخلق فى التشبيه بالمسك ثم فرق بين جهتى التشبيه (الجمع مع التقسيم) أن تجمع أمورا كثيرة تحت حكم ثم تقسم أو تقسم ثم تجمع مثال الاول قول الشاعر

الدهر معتذر والسيف منتظر * وأرضهم لك مصطاف ومرتبع

للسبي ما نكحوا والقتل ماولدوا * والنهب ماجمعوا والنار مازرعوا

فانه جمع فى البيت الاول أرض العدو وما فيها من كونها خاصة للممدوح وقسم فى الثانى ومثال الثانى قول حسان

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

فانه قسم فى البيت الاول صفتهم الى ضرهم للاعداء ونفعهم للاولياء ثم جمع فى الثانى فقال سجية تلك منهم (الائتلاف) وهو أصناف * أحدها ائتلاف اللفظ مع المعنى وهو ان تكون الالفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له فاذا كان المعنى فخما كان اللفظ جزلا واذا كان المعنى رشيقا كان اللفظ رقيقا واذا كان المعنى اعرابيا كان اللفظ غريبا واذا كان المعنى مولدا كان اللفظ مستعملا كما قال الله تعالى قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا

أو تكون من الهالكين فاتى فى مقام تفخيم الخطب وتهويل ماخيف على يعقوب عليه السلام من دوام حزنه وطول أسفه بتفتؤ التى هى أغرب مافى بابها بين أغرب صيغ القسم وألفاظ الهلاك فلاءم بين الالفاظ والمعانى وألف بينهما وكما قال زهير

فلما عرفت الدارقلت لربعها * ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

فاتى فى البيت الاول لكون معانيه اعرابية بالفاظ متوسطة مناسبة فى الغرابة وأتى فى البيت الثانى لكون معانيه أبين وأقرب الى العرف بالفاظ مستعملة كثيرة الدور * الصنف الثانى ائتلاف اللفظ مع اللفظ وهو ان يكون فى الكلام معنى يصح معه واحد من عدة معان فيختار منها مابينه وبين بعض الكلام ائتلاف الاشتراك فى الحقيقة او ملاءمة المزاج أونحو ذلك كما قال البحترى

كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فان تشبيه الابل بالقسى من حيث هو كناية عن وصفها بالهزال يصح معه تشبيهها بالعراجين والاهلة والاطناب وغيرها فاختار مع ذلك كله تشبيهها بالاسهم والاوتار لما بينها وبين القسى من الملاءمة والائتلاف وقد أحسن فى هذا البيت ماشاء مما اتفق له فيه من الايجاز والمبالغة والتتميم وحسن النسق والائتلاف والايغال وكما قال المتنبى

على سابح موج المنايابنحره * غداة كأن النبل فى صدره وبل

فان بين السباحة والموج والوبل ملاءمة صيرت البيت محكم النسج مؤتلف الالفاظ وأحسن منه قول ابن رشيق .

أصح وأقوى ماروبناه فى الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

لما فيه من المناسبة بين الصحة والقوة والرواية والخبر المأثور ثم بين السيول والحيا والبحر * الصنف الثالث ائتلاف المعنى مع المعنى وهو قسمان الاول ان يشتمل الكلام على معنى معه أمران أحدهما ملائم والآخر بخلافه فتقرنه بالملائم كما قال المتنبي

فالعرب منه مع الكدرى طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

والثانى ان يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فتقرن به منهما مالا قترانه به مزية كما فى قول المتنبي أيضا

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

فان عجز كل من البيتين يلائم كلا من الصدرين ولكنه اختار ذلك الترتيب لامرين أحدهما أن قوله * كانك فى جفن الردى وهو نائم * مسوق لتمثيل السلامة فى مقام العطب لجعله مقررا للوقوف والبقاء فى موقف يقطع على صاحبه بالموت فيه أنسب من جعله مقررا لثباته حال هزيمة الابطال والثانى ان يكون فى تأخير التتميم بقوله * ووجهك وضاح وثغرك باسم * عن وصف الممدوح بوقوفه ذلك الموقف وبمرور أبطاله كلمى بين يديه من زيادة المبالغة مايفوت بالتقديم وكما فى قوله تعالى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى فانه لم يراع فيه مناسبة الرى للشبع والاستظلال للبس فى تحصيل نوع

المنفعة بل روعى مناسبة اللبس للشبع فى حاجة الانسان اليه وعدم استغنائه عنه ومناسبة الاستظلال للرى فى كونهما تابعين للبس والشبع ومكملين لمنافعهما لان رعاية ذلك أدخل فى حسن الوعد والامتنان بالنعم المذكورة لما فى جمع الاهم منها فى الجملة الاولى وعطف باقيها فى الجملة الثانية من الاستمتاع فى مرة البشارة بنيل أصول النعم ومن تكملها بذكر التوابع والمتممات ما كان يفوت لو لم يفعل ذلك * الصنف الرابع ائتلاف اللفظ مع الوزن وهو ان يأتى الشاعر بالمعنى والوزن من غير حاجة الى تقديم وتأخير يمتنع مثله فى السعة كقوله

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

ولا الى تغيير بزيادة كقوله * حتى اذا خرت على الكلكال * او نقص كقوله *قواطنا مكة من ورق الحمى * أو بهما كقوله*من نسيج داود أبى سلام * يريد سليمان وكل شعر حكيم فهو مثال لهذا الصنف*الصنف الخامس ائتلاف المعنى مع الوزن وهو ان يأتى الشاعر باللفظ والوزن من غير حاجة الى اخراج المعنى عن وجه الصحة كما جرى لعروة بن الورد فى قوله

فانى لو شهدت أبا خبيب * غداة غد بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوه الا ما أطيق

أراد فديت نفسه بنفسى ولكنه اضطر فقلب المعنى لاصلاح الوزن ومثله قول المتنبي

خرجوا به ولكل باك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور

فجمع الصعقة وان لم يكن لموسى عليه السلام الا صعقة واحدة توصلا الى الوزن * الصنف السادس ائتلاف القافيـة مع ما يدل عليـه سائر البيت ويسمى التمكين وهو أن يكون لقافية البيت أو سجعة الفقرة تعلق بما قبلها وفيه تمهيد لها ودلالة منه أو من بعض جمله عليها فتكون ممكنة فى مكانها مستقرة فى موضعها وفى الكتاب العزيز منـه كل عجيبة باهرة كقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا وقوله تعالى قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين وقوله قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين ومن امثلتـه الشعرية قول أبى تمام

ومن يأذن الى الواشين تسلق * مسامعه بألسنة حداد

وقوله

أموسى بن ابراهيم دعوة خامس * به ظمأ التثريب لا ظمأ الورد
أتانى مع الركبان ظن ظننتـه * لففت له رأسى حياء من المجد
أأتبع هجر القول من لو هجرته * اذا لهجانى عنه معروفه عندى
نسيت اذا كم من يد لك شاكلت * يد القرب أعدت مستهاما على البعد
ومن زمن ألبستنيـه كأنه * اذا ذكرت أيامـه زمن الورد

وقول البحترى

فلم أرض نامين أصدق منكما * عرا كا اذا الهيابة النكس أكذبا
حلت عليه السيف لا عزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

وكنت متى تجمع يمينك تهتك الـ * ضريبة أو لا تبق للسيف مضربا
ألانت لى الايام من بعد قسوة * وعاتبت لى الدهر المسىء فأعتبا

وقول المتنبي

يا من يعز علينا أن نفارقهم * وجداننا كل شىء بعدكم عدم
ان كان سركم ماقال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف فى أهل النهى ذمم
لئن تركن ضميرا عن ميامننا * ليحدثن لمن ودعتهم ندم
اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وما سمع لمتقدم فى التمكين مثل قول النابغة

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

واذا وصلت الى قول القائل

ما نظرت عينى سواك منظرا * مستحسنا الا عرضت دونه
ولا تمنيت لقاء غائب * الا سألت الله أن تكونه هو

فقد ارتقيت الى مالا مزيد عليه * الصنف السابع الائتلاف مع الاختلاف وهو ضربان الاول ما كانت المؤتلفة فيه بمعزل عن المختلفة كقول سويد ابن حذاق

أبى القلب أن يأتى السدير وأهله * وان قيل عيش بالسدير غزير
به البق والحمى وأسد تحفه * وعمرو بن هند يعتدى ويجور

والثانى ما كانت المؤتلفة فيه مداخلة للمختلفة كقول العباس بن الاحنف

وصالكم هجر وحبكم قلى * وعطفكم صد وسلمكم حرب

(التورية) وتسمى الترجية وهى أن يكون للفظ معنيان قريب و بعيد فتذكره موهما ارادة القريب وأنت تريد البعيد وهى أربعة أضرب * الاول التورية المجردة كلفظ الغزالة فى قول ابى الفضل عياض فى صيفية باردة

كأن كانون أهدى من ملابسه * لشهر تموز أنواعا من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرفت * فما تفرق بين الجدى والحمل

لانه ليس قبله ولا بعده شئ من لوازم المورى به * الضرب الثانى التورية المرشحة بما قبلها كلفظ الجدى والحمل فى شعر عياض فان مابين الغزالة وبين ذكر الجدى والحمل من الملاءمة رشحهما الى التورية وأظهرها فيهما ساق الغزالة فهو راناسما وكلفظ الجفون فى قول يحيى بن منصور الحنفى

وجدنا أبانا كان حل ببلدة * سوى بين قيس قيس عيلان والفزر
فلما نأت عنا العشيرة كلها * أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر
فما اسلمتنا عند يوم كريهة * ولانحن أغضينا الجفون على وتر

فان لفظ أغضينا قبله قد رشحه الى التورية ورجحه فى الظاهر لارادة اغماض جفون العيون على اغماض جفون السيوف يعنى اغمادها لان السيف اذا أغمد أطبق الجفن واذا جرد انفتح للخلاء الحاصل بين الدفتين لكن دل سياق كلامه على ارادة أنهم لايغمدون سيوفهم ولهم وتر عند أحد وهذا من ألطف تورية وقعت لمتقدم ومثله

حملناهم طرا على الدهم بعدما * خلعنا عليهم بالطعان الملابسا

الضرب الثالث التورية المرشحة بما بعدها كلفظ مندوب فى قول ابن الربيع

لولا التطير بالخلاف وانهم * قالوا مريض لايعود مريضا
لقضيت نحبي فى فنائك خدمة * لاكون مندوبا قضى مفروضا

فان لفظ مفروض بعده رشحه للتورية ولو كان موضع مفروض غيره لم يكن فى لفظ مندوب تورية البتة وكلفظ اليمين فى قول على رضى الله عنه فى الاشعث بن قيس يحرك الشمال باليمين يريد جمع شملة * الضرب الرابع التورية الموشحة بلفظين كل منهما يرشح صاحبه لها كلفظى الثريا وسهيل فى قول عمر بن أبى ربيعة

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

فان كلا منهما قد رشح صاحبه للتورية فقوى لفظ الثريا على ايهام القصد بسهيل الى الكوكب المعروف ولفظ سهيل على ايهام القصد بالثريا الى المنزلة المشهورة لكون أحدهما شماليا والآخر جنوبيا ومراد الشاعر انما هو الثريا صاحبته الشامية الدار والقبيلة لأنها من بنى أمية الاصغر ابن عبد شمس وسهيل اليمانى الدار لا القبيلة فتم له ما أراد من الانكار على من جمع بينهما بألطف وجه وأنشد صاحب المفتاح

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

(القسم) ان تحلف على شئ بما فيه فخر أو مدح أو تعظيم أو تغزل أو زهد أو غير ذلك فالاول كقول الاشتر النخعى

بقيت وفرى وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

فانه تضمن المدح لنفسه بالجود والشرف ومثله قوله تعالى فو رب السماء والارض انه لحق والثانى كقول الشاعر

آثار جودك فى القلوب تؤثر * وجميل بشرك بالنجاح يبشر
ان كان لى أمل سواك أعده * فكفرت نعمتك التى لاتكفر

فضمن القسم مايزيد الممدوح مدحا والثالث كقوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون أقسم سبحانه وتعالى بحياة رسوله تعظيما لقدره وتبيينا لمكانته عنده ومثله قول الشاعر

قالت وعيش أخى وحرمة والدى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة قولها فتبسمت * فعلمت أن يمينها لم تحرج
فضممتها ولثمتها وفديت من * حلفت على يمين غير الحرج

والرابع كقول الآخر

جنى فتجنى والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى
فان لم يكن عندى كعينى ومسمعى * فلا نظرت عينى ولا سمعت أذنى

والخامس كقوله

حلفت بمن سوى السماء وشادها * ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام فى المعقول من غير رؤية * بأثبت من ادراك كل عيان
لما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تعقل لهن ثوانى
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

(المراجعة) أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة جرت بينه وبين غيره باوجز عبارة وأعذب لفظ ومن جيد أمثلته قول وضاح اليمن

قالت الا لاتلجن دارنا * ان أبانا رجل غائر
اما رأيت الباب من دوننا * قلت فانى واثب ظافر
قالت فان القصر من دوننا * قلت فانى فوقه طائر
قالت فان الليث عاد به * قلت فسيفى به باتر
قالت أليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فاما كنت أعييتنا * فأت اذا ماهجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لاناه ولا آمر

وألطف منه قول أبى نواس

قال لى يوما سليما * ن و بعض القول أشنع
قال صفنى وعليا * أينا اتقى وأورع
قلت انى ان أقل ما * فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلا * قال قل لى قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطى * قال صفنى قلت تمنع

وقول البحترى

بت أسقيه صفوة الراح حتى * وضع الرأس مائلا يتكفا
قلت عبد العزيز تفديك نفسى * قال لبيك قلت لبيك ألفا
هاكها قال هاتها قلت خذها * قال لا أستطيعها ثم أغفى

(الادماج) وهو ضربان * الاول يتضمن التصريح بمعنى من فن كفاية عن معنى من فن آخر كقول عبد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان

أبى دهرنا إسعافنا فى نفوسنا * فأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الاحوال فى التهنئة فأحسن التخيل فى بلوغ غرضه وتلطف فى المسئلة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال لاجرم انه فطن له سليمان فوصله واستعمله وكقول ابن نباتة السعدى

ولا بد لى من جهلة فى وصاله * فمن لى بخل أودع الحلم عنده

فادمج الفخر فى الغزل حين كنى عن حلمه بانه لايفارقه ولا يرغب بنفسه عن حلمه وانما عزم على أن يودعه اذكان لابد له من وصل هذا المحبوب لان الودائع تسترد ثم استفهم على طريق الانكار عن الخل الصالح ليودعه الحلم فافهم بقاء حلمه عليه لعدم من يصلح للايداع ثم أدمج شكوى الزمان فى الفخر بما أبداه من تغير الاخوان حتى لم يبق منهم من يصلح لمثل هذا الشان * الضرب الثانى أن يقصد المتكلم الى نوع من البديع فيجيء فى ضمنه بنوع آخر كقول بعض شعراء الأندلس

أأرضى أن تصاحبنى بغيضا * مجاملة وتحملنى ثقيلا

وحقك لارضيت بذا لانى * جملت وحقك القسم الجليلا

فادمج المبالغة فى القسم حيث لم يقل وحياتك ونحوه ثم علق الغزل بالعتاب وقال تعالى وله الحمد فى الاولى والآخرة فادمج الطباق فى المبالغة ﴿التعليق﴾ وهو ضربان * الاول أن تأتى فى شيء من الفنون بمعنى ثم فيه توطئة لما تذكره بعد من معنى آخر اما من ذلك الفن كقول أبى نواس

لهم فى بينهم نسب * وفى وسط الملا نسب

لقد زنوا عجوزهم * ولو زنيتها غضبوا

فعلق هجوهم بالسخف والحماقة بهجوهم بفجور أمهم ودناءة أبيهم حيث لم يرضوه وادعوا غيره واما من فن آخر كقول المتنبي في صفة الليل

أقلب أجفاني كأنى * أعد بها على الدهر الذنوبا

فعلق فن عتاب الزمان بفن الغزل اللازم من الوصف *الضرب الثاني ان يتضمن التعليق بالشرط وراء التلازم الدلالة على زيادة المبالغة كقول ابي تمام

فان انا لم يحمدك عنى صاغرا * عدوك فاعلم انني غير حامد

فانه كنى بتعليق عدم حمده لممدوحه على عدم حمد عدوه صاغرا عن المبالغة وعلو همته واقتدار ممدوحه على كثرة العطاء ﴿حسن الابتداء﴾ ان يكون مطلع القصيدة او غيرها مع عذوبة لفظه وسهولة سبكه صحيح المعاني متناسب القسمة وأحسنه ماتضمن معنى ماسيق الكلام لاجله ويسمى براعة الاستهلال ومن أحسن ابتداءات المتقدمين قول امرئ القيس

خليلى مرابى على أم جندب * نقضي لبانات الفؤاد المعذب

وقول النابغة

كليني لهم يااميمة ناصب * وليل أقاسيه بطئ الكواكب

وقدمه ابن المعتز وغيره لسلامته مما في ابتداء امرئ القيس لملفقته من عدم التناسب فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت عذب اللفظ سهل السبك ثم لم يتفق له مثل ذلك في النصف الثاني بل أتى فيه بمعان قليلة في ألفاظ غريبة فباين الاول بخلاف بيت

النابغة فانه لاتفاوت بين قسميه ومن أحسن الابتداءات للمولدين قول أبي نواس

خليلي هذا موقف من متيم * فعوجا قليلا وانظراه نسلم

وقول اسحاق الموصلي

هل الى أن تنام عيني سبيل * ان عهدي بالنوم عهد طويل

وقول البحتري

بودي لو يهوى العذول و يعشق * ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

وقول المعري

غير مجد في ملتي واعتقادي * نوح باك ولا ترنم شادي

وقول المتنبي

أتظنني من زلة أتعتب * قلبي عليك أرق مما تحسب

وكذا قوله

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

لولا ما كدر صفوه وقبح حسنه بقوله فيما يليه

كيف ترثي التي ترى كل جفن * راءها غير جفنها غير راقي

فبينا الذوق يستلذ حلاوة البيت الاول اذ شرقه مرارة البيت الثاني واذا نظرت الى فواتح السور جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن وأنواع الاشارة مايقصر عن كنهه وصفه العبارة ﴿حسن التخلص﴾ ان يمزج الشاعر آخر مايقدمه من البسط أمام المدح أو غيره من تشبيب أو أدب أو فخر أو نحو ذلك من الفنون بأول المدح و يلائم بينهما في بيت أو بيتين أو

ثلاثة وهو قليل فى اشعار المتقدمين ومنه قول زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * كن الجواد على علاته هرم

وقد لهج به المتأخرون لما فيه من الحسن والدلالة على براعة الشاعر وكمال اقتداره فما جاء منه فى ثلاثة أبيات قول أبى نواس

واذا جلست الى المدام وشربه * فاجعل حديثك كله فى الكاس

واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

واذا أردت مديح قوم لم تمن * فى مدحهم فامدح بنى العباس

وفى بيتين قول أبى تمام

يقول فى قومس قومى وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وقول المتنبى

مرت بنا بين تربيها فقلت لها * من أين جانس هذا الشادن العربا

فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى

ليث الشرى وهو من عجل اذا انتسبا

وأحسن الخالص ماوقع فى بيت واحد ومن جيده قول مسلم بن الوليد

أجدك ماتدرين أن رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر

سريت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

لما فيه من ادماج المبالغة فى مدح يحيى بالبر بأبيه وجمعه بين خير الدنيا والآخرة ومن تعلق المدح بالغزل فاحسن ماشاء ﴿ حسن الخاتمة ﴾ يجب على البليغ ان يختم كلامه باحسن خاتمة فانها آخر مايبقى فى الاسماع وربما

حفظت من دون سائر الكلام فليجتهد فى نضجها وحلاوتها وفى قوتها وجزالتها مع تضمينها لمعنى تام يؤذن السامع بانتهاء كلامه كما قال المتنبى

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها * وشرف الناس اذ سواك انسانا

فذيل بما يقتضى تقرير كل مدح به ممدوحه فعلم أنه قد انتهى كلامه ولم يبق للنفس تشوف الى ماوراءه وقد قلت عناية المتقدمين بهذ النوع وممن اجاد فيه من المتأخرين أبو نواس فى خاتمة مدح المأمون بقوله

فبقيت للعلم الذى تهدى له * وتقاعست عن يومك الايام

وفى خاتمة مدح الخصيب

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أملت منك جدير

فان تولنى منك الجميل فاهله * والا فانى عاذر وشكور

وأبو تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمورية

ان كان بين ليالى الدهر من رحم * موصولة أو ذمام غير مقتضب

فبين أيامك اللاتى نصرت بها * وبين أيام بدر أقرب النسب

أبقت بنى الاصفر المراض كاسمهم * صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وقوله فى خاتمة اعتذاره الى موسى بن ابراهيم الرافعى

فان يك ذنب عن أوتك هفوة * على خطأ منى فعذرى على عمد

وقوله فى خاتمة خطابه لمالك بن طوق

لاتوقظوا الشر من نوم فقد غنيت * دياركم وهى تدعى زهرة النعم

هذا ابن خالكم يهدى نصيحته * بمن يتهم فهو فيكم غير متهم

وقول أبى الطيب فى خاتمة قصيدة من السيفيات

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وفى أخرى

لازلت تضرب من عاداك عن عرض * بعاجل النصر فى مستأخر الأجل

وفى أخرى وقد ذكر الخيل

فلا هجمت بها الا على ظفر * ولا وطئت بها الا على أمل

وجميع خواتم السور فى غاية من الحسن ونهاية الكمال لانها بين أدعية و وصايا وفرائض ومواعظ وتحميد و وعد و وعيد الى غير ذلك من الخواتم التى لا يبقى للنفوس بعدها تطلع ولا تشوق لما يقال كتفصيل جملة المطلوب فى الفاتحة والدعاء الذى ختمت به البقرة والوصايا فى خاتمة آل عمران والفرائض فى خاتمة النساء والتبجيل والتعظيم الذى فى خاتمة المائدة والوعد والوعيد الذى فى خاتمة الانعام (وليكن) هذا آخر الكتاب واعلم انى قد مهدت لك فيه قواعد متى بنيت عليها أعجب كل شاهد بناؤها ونهجت لك مناهج متى سلكتها اعترف لك بكمال الحذق والبلاغة أبناؤها ونصبت لك أعلاما متى انتحيتها أعثرتك على ضوال منشودة وحشدت لك من الامثلة

ماليست عند أحد بمحشودة فمن لم يستضئ بهذا المصباح فليس

ينفعه نور الصباح والحمد لله مبدى صنوف النعماء

وصلواته على حبيبه محمد خاتم

الانبياء وعلى آله وأصحابه

البررة الاتقياء وسلم تسليما

كثيرا الى يوم الدين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي اختص اللسان العربى بالفصاحة وحسن البيان وأودعه من رقائق البلاغة ولطائف البراعة مالا يدخل تحت حصر أو حسبان والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد وأبلغ من قطع عاضي حسامه وحاسم بيانه شبهة كل معاند ومضاد وعلى آله وأصحابه « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » ومفاتيح الفهم وموازين القول فى الاطناب والايجاز ومصابيح الدراية فى الحقيقة والمجاز

(وبعد) فقد تم بتوفيق القدير الفتاح طبع كتاب المصباح فى علوم البلاغة تأليف الحبر الكبير والعلم الشهير العلامة بدر الدين أبي عبدالله محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك اختصره من مفتاح العلوم للامام أبى يعقوب يوسف السكاكى وأضاف اليه كثيرا من الفوائد النفيسة الجليله وتخير فيه جملة من الشواهد العربية النادرة الجميله حتى جاء بحمد الله كتابه على أسلوب يأخذ بمجامع القلوب دهشة وعجبا ويسر الخاطر ويهز النفوس ابتهاجا وطربا لايشوبه التطويل الممل ولا الاختصار المخل فكان جديرا بأن يقال فيه بلا امترا « كل الصيد فى جوف الفرا »

وطالما تطلعت اليه نفوس جمهور المتأدبين والكتاب وكان ظهوره فى عالم المطبوعات أمنية الجميع ضن بها الزمان على الطلاب وظل فى زوايا الخفاء والاحتجاب لعدم تهيؤ الأسباب .

حتى أتاح الله تعالى له حضرة الحسيب النسيب المتوكل على الملك الوهاب السيد محمد عمر الخشاب فأجرى طبعه على نفقته « بالمطبعة الخيرية » ملسكه وإدارته ذات الأدوات الفاخره والمحاسن الزاهية الزاهره ولعمرى كم وقف

السيد المذكور نفسه على خدمة العلم والدين وكانت له اليد الطولى فى طبع أمهات الكتب العلمية القيمة النافعه والعناية بالبحث عنها فى أرجاء العالم الاسلامى وأقطاره الشاسعه جزاه الله أحسن الجزاء على هذه المساعى المشكوره والأعمال الطيبة المبروره هذا مع بذل غاية الجهد والطاقة فى تصحيحه ومراجعته على الأصول الصحيحة وتنقيحه

وكان تمام هذا الطبع الجميل الباهر والشكل البديع الزاهر فى أوائل شهر رمضان المعظم من شهور سنة ألف وثلاثمائة واحدى وأربعين من هجرة سيد الانبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وحين لاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه أنشد فيه لسان الحال فقال

أضوء شمس بدا أم كوكب ضاحى * أم نور مختصر المفتاح ياصاح
نسج (الامام) فريد العصر من شهدت * له البراعة فى تهذيب مفتاح
صاغ البلاغة (بدر الدين) مبتكرا * جزالة اللفظ والمعنى بافصاح
ذاك (ابن مالك) السامى المدارك من * أحيا العلوم بتحقيق و إيضاح
وحاز فى حلبة التصنيف غايتها * يزهو به عصره كالكوكب الضاحى
لله مختصر المفتاح أودعه * بلاغة كاللآلى صوغ جحجاح
أمنية يالها جاد الزمان بها * وافى بأسمى الامانى طبع مصباح
سر الجميع به طبعا فلا عجب * ان أصبح الكل فى أنس وأفراح
قم ياأخا الفضل واشرب من موارده * كأسا رويا صفا من بين أقداح
هيا بنى العلم والآداب فاغتنموا * رياض علم زهت بالروح والراح
لله در فتى العلياء ناشره * محيي الدوارس من متن وشراح
لازال فى مستوى العلياء مرتقيا * أوج المعالى بامساء واصباح
كان الاله له عونا و وفقه * لخدمة العلم مشمولا بانجاح

﴿ فهرست كتاب المصباح في علوم البلاغة
الامام بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى ﴾

(فهرست كتاب المصباح فى علوم البلاغة
للامام بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى)

﴿ تمت ﴾

﴿ بيان الخطا والصواب الواقع فى هذا الكتاب ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٢	٥	قال أبو السمط	قال ابن أبى السمط
٣٠	١٨	مسبوقا	مسوقا

قياما بواجب الامانة فى نشر العلم وعناية بصحة هذا الكتاب عمل هذا الجدول ملحقا بعد تمام الطبع مبينا به مواقع الخطأ والصواب تلافيا لما فاتنا عند الطبع وتداركا لما عساه يكون وقع فيه مخالفا للصواب

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٥٧	١٦	المستجو	المستحر
٥٨	٧	و يمسح	و يلطم
٧٣	١٨	قبيلته	قبيلة بالتصغير وتشديد الياء
٧٤	١١	فاحكم	واحكم
٩٥	١٤	بالوشيح	بالوشيج
١٠٠	٩	وقول الحو ر ية امرأة حطان الخارجى الخ	وقول الحرو رية امرأة عمران بن حطان الخارجى الخ
١٠٠	١٠	مخزاة بن ثو * ر	مجزأة بن ثو *ر كان أشجع الخ
١٠٤	٩	آسادا أو أسياد	أسباد بالباء الموحدة
١١٢	٦	النساء	النسا
١١٦	١٦	أبا خبيب	أبا سماد
١١٨	٧	لمن ودعتهم	لمن ودعتهم
١١٨	١٧	غز ير	غر ير
١٢١	١٠	فضممتها ولثمتها الى آخر	فلثمت فاها آخذا بقرونها
»	»	البيت	شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
١٢٢	٤	فسبق به باتر	فسبق مرهف باتر
١٢٤	٤	أقلب أجفانى كأنى الى آخر البيت	أقلب فيه أجفانى البيت
١٢٥	١٠	وقول المتنبى	وقول بعض المتأخرين
١٢٥	١٣	المآق	المآقى

